مجلـــة العلـــوم التربـــوية والدراســـات الإنســـانيـــة
ISSN: 2709-0302 (online)
Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)

حياة البرزخ في القرآن الكريم
"دراسة موضوعية"(*)

د/ عبد الرقيب عبده خالد عبد الله
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية
فرع إب- اليمن
n712849505@qmil.com

*) تاريخ تسليم البحث 20/1/2021 تاريخ قبوله للنشر 2/6/2021
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

حياة البرزخ في القرآن الكريم "دراسة موضوعية"

د/ عبد الرقيب عبده خالد عبد الله
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية
فرع إب- اليمن

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى بيان حقيقة الحياة البرزخية، وبيان حديث القرآن الكريم والسنة والنبوية عن هذا النوع من الحياة، ودراسته دراسة موضوعية.

وقد اعتمدت في هذا البحث على الدراسة الموضوعية؛ من أجل الوصول إلى ما يهدف إليه هذا البحث.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، فيها ذكر الأدلة القرآنية لبعض الأسباب الموجبة لعذاب القبر في الحياة البرزخية، وذكر بعض الأسباب المنجية من عذاب القبر في الحياة البرزخية، وفيها ذكر أبرز الفرق التي تنكر الحياة البرزخية وما فيها من نعيم وعذاب، وذكر شبهاتهم، التي اعتمدوا عليها، ومناقشتها والرد عليها، وقد توصلت من خلال هذا البحث إلى عدة نتائج، ومنها:

الإيمان بالحياة البرزخية يندرج ضمن الإيمان باليوم الآخر، تحدث القرآن الكريم عن الحياة البرزخية تصريحاً وتلميحا، وقد ذكر القرآن الكريم بعض الأسباب الموجبة للعذاب في حياة البرزخ وبعض الأسباب المنجية من ذلك العذاب، الفرق التي تنكر الحياة البرزخية- قديماً وحديثا- اعتمدت على شبهات واهية لا يمكن أن تصمد أمام الأدلة القرآنية المثبتة لذلك.

وقد انتهى البحث إلى خاتمة، ذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات مع ذكر المصادر والمراجع.

كلمات مفتاحية: الحياة، البرزخ، القرآن الكريم.

The Barzakh Life in the Holy Quran "An Objective"

Dr Abdlrqeeb Abdu Khalid Abdullah
Assistant Professor Of the Holy Quran studies and lnterpretation
The Universit Of the Holy Quran and lslamic Studies, Ibb, Yemen.

Abstract:

This Study aims at understanding and studying Barzakh life reflected through the Holy Quran and Sunnah. The research follows on the objective approach to ensure that the comprehensive aim of the study is achieved. The study is divided into a prelude، introduction and three chapters in which some evidences from the Holy Quran are presented to prove the reasons behind the grave punishment in the barzakh life. Other reasons of the safety from the grave torture in the barzakh. The study has mentioned some groups denying the grave torture and the blessings of believers. Some sound arguments are presented. Therefore، the research findings are outlined as the believing in barzakh life is linked with the belief in the life hereafter، while the Holy Quran has clearly mentioned regarding the grave life and how the punishment or blessing in the grave life would be. And also، the people who deny barzakh life creating suspicions which are baseless before the Holy Quran and its evidences. The study concludes up with some results and recommendations. A list of references is introduced at the end.

Keywords: Life، Barzakh، the Holy Quran.

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ {الأحزاب:٧٠-٧١}، أما بعد:

فمما استقر في عقيدة المسلمين أن الحياة البرزخية حق، وأن القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار(١)، وقد جعلها الله تعالى فاصلا بين الحياة الدنيا والآخرة، وقد ذكر القرآن الكريم البرزخ في قوله تعالى: "﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾ {المؤمنون:١٠٠}، والحياة البرزخية هي بمثابة محطة للوقوف والانتظار، يقف فيها من مات- معذبا أو منعما- ريثما تنقضي أعمار الناس في حياتهم الدنيا، لينتقلوا بعدها جميعا إلى الدار الآخرة حيث يجازى المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته. إن الحياة البرزخية في القبور، حياة في عالم الغيب، ولا يمكن إدراكها بالحواس، ولا تصورها بالعقول، والغيب يحيط بها من كل جوانبها، فلا طريق لنا لمعرفة حقيقة الحياة البرزخية الا بالخبر اليقين من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ورغم أهمية الإيمان بالحياة البرزخية إلا أنه وُجِدت فِرقٌ تُنكرها- في القديم والحديث- ولهم في ذلك شبهات، منها أن القرآن الكريم لم يتحدث عنها، وأن النصوص الواردة في ذلك تتعارض مع نصوص أخرى، ومنها معارضتها للحس والعقل، وهي دعاوى سنحاول مناقشتها والرد عليها لإثبات أن حياة البرزخ في القبور- وما فيها من نعيم وعذاب- حياة حقيقة أثبتها الشرع بنصوص ثابته، وهي حقيقة لا تُعارضها العقول، ولا تُنكرها الحس.

أهمية البحث:

أولاً: حياة البرزخ في القبور هي أول منازل الآخرة.

ثانياً: الإيمان بحياة البرزخ في القبور يندرج ضمن ركن الإيمان باليوم الآخر.

ثالثا: الإيمان بحياة البرزخ له أثر كبير في صلاح المسلم في حياته الدنيا التي تسبق حياته في البرزخ..

رابعاً: الإيمان بوجود حياة البرزخ يدفع كل مسلم ومسلمة إلى أن يستقيم على شرع الله، وعمل الصالحات، وترك المنكرات، وإنكار حياة البرزخ في القبر- أو الشك فيها- يجعل العبد في العكس من ذلك.

---

(١) لحديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار"** رواه الترمذي برقم(٤٣٧)، وقال عنه: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وضعفه الألباني ضعيف الجامع الصغير برقم (١٢٣١).

أهداف البحث: يهدف هذا البحث لتحقيق الآتي:

أولاً: بيان حقيقة حياة البرزخ في القبور.

ثانياً: ذكر أهم الأسباب الموجبة للعذاب في حياة البرزخ في القبور من خلال القرآن الكريم.

ثالثاً: بيان أبرز الأسباب المنجية من العذاب في حياة البرزخ في القبور من خلال القرآن الكريم.

رابعاً: معرفة أهم الفرق التي تنكر الحياة البرزخية.

خامساً: ذكر أبرز شبهات الفرق التي تنكر الحياة البرزخية والرد عليها.

منهجية البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي الوصفي، وذلك من خلال تتبع الآيات التي تدل على الموضوع، وتقسيمها بحسب دلالاتها إلى مباحث ومطالب، مع الاستفادة من أقوال المفسرين وآرائهم.

الدراسات السابقة:

حياة البرزخ كُتبت فيها الكثير من الكتب والدراسات في القديم والحديث، ومن أهم الدراسات التي وقفت عليها الباحث السابقة ما يلي:

١- أحاديث حياة البرزخ في الكتب التسعة، جمعاً وتخريجاً ودراسة، رسالة دكتوراه للشيخ محمد بن حيدر بن مهدي بن حسن، جامعة أم درمان، السودان، وقد نوقشت هذه الرسالة في عام٢٠٠٤م.

٢- حياة البرزخ في ضوء الكتاب والسّنة، رسالة ماجستير لشادي فوزي محمد بشكار، إشراف د.محسن سميح الخالدي، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين ٢٠٠٧م.

٣- أحاديث العقيدة في مسند الإمام أحمد، البرزخ وأحوال القيامة، ترتيباً، وتخريجاً، وشرحاً، ودراسة، رسالة ماجستير، لعلي بن سعيد العبيدي، جامعة لإمام محمد بن سعود، كلية أصول الدين، نوقشت هذه الرسالة عام ١٤١٨ه الموافق ١٩٩٨م.

٤- الحياة البرزخية، عند الفرق الإسلامية، رسالة ماجستير لعبد الله سعيد صالح العتيبي، نوقشت في جامعة أم القرى في مكة، عام ٢٠١١.

٦- عالم البرزخ في القرآن الكريم، وهو بحث منشور في مجلة ديالى، جامعة ديالى، في العراق العدد ٥٤، سنة ٢٠١٢م. للدكتور مصطفى هذال خميس- قسم عموم القرآن والتربية الإسلامية، كلية التربية للعلوم الإنسانية.

ومن أهم المصادر التي تحدثت عن حياة البرزخ في القبور ما يلي:

١- إثبات عذاب القبر، للبيهقي.

٢- القبور، لابن أبي الدنيا القرشي.

٣- أهوال القبور: لابن رجب الحنبلي.

٤- شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي.

ومما تميز به هذا البحث عن الدراسات السابقة له ما يلي:

١- دراسة حياة البرزخ دراسة موضوعية من خلال القرآن الكريم.

٢- ذكر بعض الأسباب الموجبة لعذاب القبر في حياة البرزخ، وذكر بعض الأسباب المنجية من ذلك.

٣- ذكر أهم شبهات الفرق المنكرة لحياة البرزخ، والرد عليها.

خطة البحث:

اقتضت خطة البحث أن يتكون من مقدمة، وتمهيد، ثلاثة مباحث، وخاتمة:

المقدمة: ذكرت فيها، أهمية البحث، وأهدافه، منهجية البحث، الدراسات السابقة، وخطة البحث.

التمهيد: يشتمل على التعريف بمصطلحات البحث.

المبحث الأول: بعض الأسباب الموجبة للعذاب في حياة البرزخ في القبور، من خلال القرآن الكريم.

المبحث الثاني: بعض الأسباب المنجية من العذاب في حياة البرزخ في القبور، من خلال القرآن الكريم.

المبحث الثالث: شبهات الفرق المنكرة لحياة البرزخ في القبور، والرد عليها.

الخاتمة: تضمنت أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد: التعريف بمصطلحات البحث

الحياة في اللغة

قال ابن منظور: "ما بين سقوط الولد إلى وقت موته"(١)، وقال ابن فارس: "الحاء والياء والحرف المعتل أصلان: أحدهما خلاف الموت، والآخر الاستحياء الذي هو ضد الوقاحة، فأما الأول فالحياة والحيوان، وهو ضد الموت والموتان(٢).

الحياة في الاصطلاح

وقال الراغب الأصفهاني: "الحياة تستعمل للقوة النامية الموجودة بالنبات والحيوان، والقوة الحساسة ومنه سمي الحيوان حيوانا وللقوة العالمة العاقلة، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ {الأنعام:١٢٢}(٣)، وقال الجرجاني: الحياة الدنيا: هي ما يشغل العبد عن الآخرة(٤)، وقال المناوي: "الحياة في الأصل الروح وهي الموجبة لتحرك من قامت به، ذكره العكبري، وقال الحرالي: الحياة تكامل في ذات ما أدناه حياة النبات بالنمو والاهتزاز مع انغراسه إلى حياة ما يدب بحركته وحسه إلى غاية حياة الإنسان في تصرفه وتصريفه إلى ما وراء ذلك من التكامل في علومه وأخلاقه"(٥).

---

(١) محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، الناشر: دار صادر– بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ/١١٦.

(٢) أحمد بن فارس بن زكَريّا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون الناشر: اتحاد الكتاب العرب ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م ٩٧/٢.

(٣) الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان الداودي، الناشر: دار القلم، ط١، ١٤١٢هـ، صـ ٢٦٨.

(٤) علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، الناشر: دار الكتاب العربي – لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٥ تحقيق: إبراهيم الأبياري ١٢٧/١.

(٥) محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٠، صـ١٣٢.

البرزخ في اللغة

قال ابن سيدة: "البرزخ ما بين كل شيئين، ومنه قوله تعالى: ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ {الرحمن:٢٠}، يعني: حاجزا من قدرة الله، والبرزخ: ما بين الدنيا والآخرة، قبل الحشر، وبرازخ الأيمان: ما بين الشك واليقين(١)، قال الراغب الأصفهاني: "البرزخ: الحاجز والحد بين الشيئين، ومنه وقوله تعالى: ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ {الرحمن:٢٠}، وقيل: البرزخ ما بين الموت إلى القيامة، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ {المؤمنون:١٠٠}(٢).

البرزخ في الاصطلاح:

وقال ابن منظور: "والبرزخ: ما بين الدنيا والآخرة قبل الحشر من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ وقيل للميت: هو في برزخ؛ لأنه بين الدنيا والآخرة"(٣)، وقال الجرجاني: "البرزخ العالم المشهور بين عالم المعاني المجردة، والأجسام المادية، والعبادات تتجسد بما يناسبها إذا وصل إليه، وهو الحائل بين الدنيا والآخرة"(٤) وقال الفراء في قوله تعالى: ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ {المؤمنون:١٠٠}، البرزخ من يوم يموت إلى يوم يبعث"(٥)، وقال رجل بحضرة الشعبي: رحم الله فلانا فقد صار من أهل الآخرة فقال: لم يصر من أهل الآخرة ولكنه صار من أهل البرزخ وليس من الدنيا ولا من الآخرة"(٦). وقال الإمام ابن القيم: "إنه ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر ونعيمه، اسم لعذاب البرزخ ونعيمه، وهو ما بين الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ {المؤمنون:١٠٠}، وهذا البرزخ يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة، وسمي عذاب القبر ونعيمه، وأنه روضة أو حفرة نار، باعتبار غالب الخلق، فالمصلوب والحرق، والغرق، وأكيل السباع والطيور، له من عذاب البرزخ ونعيمه قسطه الذي تقتضيه أعماله، وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب وكيفياتهما، فلم يفت عذاب البرزخ ونعيمه الإنسان الميت على أي حال كان، ومن أنكر هذا فقد جحد رب العالمين، وكفر به، وأنكر ربوبيته(٧). وبهذا يتبين لنا أن المراد

(١)علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت: ٢٠٠٠م، ٣٨٠/٢.

(٢) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، صـ١١٨، مرجع سابق، باختصار وتصرف يسير.

(٣) ابن منظور، لسان العرب ٨/٣، مرجع سابق باختصار، وينظر: إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت ط٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ٣٩/١.

(٤) الجرجاني، التعريفات صـ١٣، مرجع سابق باختصار.

(٥) أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، معاني القرآن، تحقق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر الطبعة: الأولى، بدون تاريخ الطبعة، ١٩٩/٣.

(٦) محمد بن أحمد الانصاري القرطبي، الجامع الأحكام القرآن، الناشر: دار احياء التراث بيروت، سنة النشر: ١٩٨٥م، تحقق: هشام سمير البخاري، ١٥٠/١٢.

(٧) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، كتاب الروح، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٩٥_١٩٧٥، صـ٧٣، باختصار وتصرف يسير.

بحياة البرزخ، أنها الفترة التي سيقضيها الإنسان في قبرة وتبدأ حياة البرزخ لكل إنسان من حين يتم وضعه في قبره إلى قيام الساعة، ويكون قبر الإنسان في حياة البرزخ، إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران بحسب عمل الإنسان وسعيه في حياته الدنيا.

المبحث الأول: بعض الأسباب الموجبة للعذاب في الحياة البرزخية

هناك أعمال جسيمة، وجرائم كبيرة فعلها بعض الناس في حياتهم الدنيا، وماتوا وما تابوا إلى الله تعالى منها؛ فاستحقوا بذلك أن يعذبهم الله بها في حياتهم البرزخية، على ما توعدهم الله تعالى من العذاب الأليم في الآخرة في نار جهنم، وقد تحدث القرآن الكريم عن بعض هذه الأسباب الموجبة لعذاب القبر في حياة البرزخ، في عدة مواضع منه، ونحن أهم تلك الأسباب، بحسب ما يقتضيه المقام، وسوف ينتظم الحديث عنها في أربعة أسباب على النحو التالي:

السبب الأول: الكفر بالله تعالى

وقد تحدث القرآن الكريم عن هذا السبب في قوله تعالى: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ {غافر: ٤٥-٤٦}، أرسل الله تعالى سيدنا موسى عليه السلام داعيةً إلى فرعون وقومة، وكان فرعون قد بلغ درجةً عاليةً من الكفر والعناد، ولم يكتفِ بذلك حتى ادعى الربوبية، وقال لقومه - كما حكى الله عنه- ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ {النازعات: ٢٤}، ورغم كفر فرعون وجبروته؛ فقد قذف الله الإيمان في قلب رجل من قومه، فقام منادياً في فرعون وملائه، فأصروا على كفرهم وعنادهم، ولم يستجيبوا لكل دعوات الإيمان التي وجهة لهم، عند ذلك عاجلهم الله بعقابه الأليم، فأغرق الله فرعون وجنوده في أليم، وعجَّل لهم العقوبة في حياتهم البرزخية في قبورهم، فهم يعرضون على نار جنهم في الغدو والعشي، وفي يوم القيامة سيدخلهم الله العذاب الشديد في نار جهنم، كل ذلك بسبب كفرهم بالله تعالى، واعراضهم عن الإيمان بالله تعالى والاستجابة لرسوله، قال الإمام ابن كثير عند هذه الآية: "هذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور، فقوله تعالى: ﴿ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾ وهو: الغرق في اليم، ثم النقلة منه إلى الجحيم، فإن أرواحهم تعرض على النار صباحا ومساء إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار؛ ولهذا قال: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ أي: أشده ألما وأعظمه نكالا، وقال قتادة في قوله: ﴿ غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ صباحا ومساء، ما بقيت الدنيا، يقال لهم: يا آل فرعون، هذه منازلكم، توبيخا ونقمة وصغارا لهم، وقال ابن زيد: هم فيها اليوم يغدى بهم ويراح إلى أن تقوم الساعة"[1] وقال الإمام القرطبي في قوله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا

(١) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م ١٤٦/٧، باختصار وتصرف، وينظر: عبد

وَعَشِيًّا ﴾" والجمهور على أن هذا العرض في البرزخ، واحتج بعض أهل العلم على اثبات عذاب القبر بقوله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾، وهذا قول مجاهد وعكرمة ومقاتل ومحمد بن كعب كلهم قال: هذه الآية تدل على عذاب القبر في الدنيا، ألا تراه يقول عن عذاب الآخرة:﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ وهي الهاوية في نار جهنم"(١) وقال الإمام الرازي - رحمه الله- عند هذه الآية: "احتج أصحابنا بهذه الآية على إثبات عذاب القبر قالوا: الآية تقتضي عرض النار عليهم غدوا وعشيا، وليس المراد منه يوم القيامة؛ لأنه قال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾، وليس المراد منه أيضا الدنيا؛ لأن عرض النار عليهم غدوا وعشيا ما كان حاصلا في الدنيا، فثبت أن هذا العرض إنما حصل بعد الموت وقبل يوم القيامة، وذلك يدل على إثبات عذاب القبر في حق هؤلاء، وإذ ثبت في حقهم ثبت في حق غيرهم؛ لأنه لا قائل بالفرق"(٢). وأورد الإمام الرازي شبهات المنكرين لحياة البرزخ مستدلين بهذه الآية، وأجاب عليها قائلا: "**الشبهة الأولى**: فإن قيل: لم لا يجوز أن يكون المراد من عرض النار عليهم غدوا وعشيا عرض النصائح عليهم في الدنيا؟ لأن أهل الدين إذا ذكروا لهم الترغيب والترهيب وخوفوهم بعذاب الله فقد عرضوا عليهم النار، والجواب: إن في الدنيا عرض عليهم كلمات تذكرهم أمر النار، لا أنه يعرض عليهم نفس النار، فعلى قولهم هذا يصير معنى الآية: أن الكلمات المذكرة لأمر النار كانت تعرض عليهم، وذلك يفضي إلى ترك ظاهر اللفظ والعدول إلى المجاز. **الشبهة الثانية:** أن ذلك العذاب يجب أن يكون دائما غير منقطع، وقوله تعالى: ﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ يقتضي أن لا يحصل ذلك العذاب إلا في هذين الوقتين، فثبت أن هذا لا يمكن حمله على عذاب القبر، و**الجواب:** لم لا يجوز أن يكتفي في القبر بإيصال العذاب إليه في هذين الوقتين، ثم عند قيام القيامة يلقى في النار فيدوم عذابه بعد ذلك، وأيضا لا يمتنع بأن يكون ذكر الغدوة والعشية كناية عن الدوام كقوله ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾﴾ {مريم: ٦٢}. **الشبهة الثالثة**: قولهم: إن الغدوة والعشية إنما يحصلان

الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٤، ٤٠/٤، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠هـ، ٢٦٢/٩، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي محاسن التأويل، تحقق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ، ٣١٢/٨، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت سنة الطبع : ١٤١٥هـ، تحقيق: تصحيح محمد على شاهين، ٧٥/٤.

(١) القرطبي، الجامع الأحكام القرآن, مرجع سابق ٣١٩/١٥، باختصار وتصرف يسير، وينظر: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، فتح القدير، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٤هـ، ٥٦٧/٤.

(٢) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣ - ١٤٢٠هـ، ٣٤٢/١٣.

في الدينا، أما في القبر فلا وجود لهما، **والجواب**: إنه، قلنا لم لا يجوز أن يقال إن عند حصول هذين الوقتين لأهل الدنيا يعرض عليهم العذاب؟ والله أعلم"(١). فالكفر بالله تعالى سبب من الأسباب التي يستحق من مات عليه أن يعجل الله لهم العذاب في حياتهم البرزخية في قبورهم، ويوم القيامة يدخلهم الله أشد العذاب.

السبب الثاني: الذنوب والخطايا

كما عذاب الله تعالى قوم فرعون بالغرق في أليم، وعاجل لهم العقوبة في حياتهم البرزخية في قبورهم، كذلك عذب الله قوم نوح في حياتهم البرزخية بعد أن أغرقهم الطوفان؛ وذلك بسبب خطاياهم وذنوبهم، وقد تحدث الله في كتابه الكريم عن هذه السبب في قوله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾ {نوح: ٢٥}، قال الإمام الرازي في تفسيره لهذه الآية: "تمسك أصحابنا في إثبات عذاب القبر بقوله: ﴿أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا﴾ وذلك من **وجهين الأول**: أن الفاء في قوله: ﴿فَأُدْخِلُواْ نَارًا﴾ تدل على أنه حصلت تلك الحالة عقيب الإغراق فلا يمكن حملها على عذاب الآخرة، وإلا بطلت دلالة هذه الفاء، التي تدل على الترتيب والتعقيب **الثاني:** أنه قال: ﴿فَأُدْخِلُواْ﴾ على سبيل الإخبار عن الماضي، وهذا إنما يَصْدُقُ لَو وَقَعَ ذلك"(٢). وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا﴾ أي بعد إغراقهم. قال القشيري: "وهذا يدل على عذاب القبر، ومن مات في ماء أو نار أو أكلته السباع أو الطير مثلا أصابه ما يصيب المقبور من العذاب، قال الضحاك في قوله تعالى: ﴿أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا﴾ قال: يعني عُذِّبُوا بالنار في الدنيا مع الغرق في الدنيا في حالة واحدة، فقد كانوا يغرقون في جانب ويحترقون في الماء من جانب، ومنكرو عذاب القبر، أولوا ذلك فقالوا: صاروا مستحقين دخول النار، أو عرض عليهم أماكنهم من النار، وقالوا: يجوز أن تكون فاء الترتيب والتعقيب مستعارة للسببية؛ لأن المسبب كالمتعقب للسبب، وإن تراخى عنه لفقد شرط أو وجود مانع، وقالوا: وإنما عبر عن ذلك بالفعل الماضي ﴿فَأُدْخِلُواْ﴾ التي تفيد حصول الفعل ووقوعه لعدم الاعتداد بالفترة الزمنية التي بين الإغراق والإدخال فهي فتره قصيرة لا تكاد تذكر إذا ما قورنت بعذاب الآخرة، وتنكير النار إما لتعظيمها وتهويلها، أو لأنه عز وجل أعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار"(٣)، ورد الشيخ محمد ثناء الله العثماني المظهري على

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، ٣٤٢/١٣، مرجع سابق باختصار وتصرف، وينظر: عمر بن على ابن عادل الدمشقي، تفسير اللباب، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ٤٩٩/١٣. دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤٠٧هـ.

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب، ٦٤/١٦، مرجع سابق وينظر: سيد قطب إبراهيم، في ظلال القرآن، الناشر: دار الشروق القاهرة، بدون تاريخ الطبعة، ٣٥٠/٧.

(٣) القرطبي، الجامع الأحكام القرآن، ٣١١/١٨، مرجع سابق، وينظر: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار النشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤٠٧هـ، ٦٢٠/٤، وينظر: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ،

التأويلات التي أدخلها منكرو عذاب القبر على هذه الآية فقال: "هذه الآية دليل على إثبات عذاب القبر؛ لأن الفاء للتعقيب والترتيب، وصيغة ﴿فَأُدۡخِلُواْ﴾ للمضي خلافا للمعتزلة وغيرهم من أهل الأهواء الذين قالوا في تأويل هذه الآية: إنه أورد بفاء التعقيب لعدم اعتداد الفترة الزمنية لما بين الإغراق والإدخال، أو لأن المسبب كالمتعقب للسبب، وصيغة الماضي؛ لأن المتيقن كالواقع قلنا: الأصل في الكلام الحقيقة وهذه التأويلات حمل على المجاز، فلا يجوز بلا دليل كيف وقد دلت من الأحاديث ما لا يحصى على عذاب القبر وانعقد عليه إجماع السلف"(١). فالذنوب والخطايا التي يرتكبها أصحابها سببٌ من أسباب عذاب القبر، إذا لم يتب منها أصاحبها قبل لقاء الله تعالى، فليحذر منها كل مؤمن يحرص عل نجاته من عذاب ربه في حياة البرزخ وفي يوم القيامة.

السبب الثالث: الإعراض عن ذكر الله تعالى

قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾، {طه: ١٢٤}، ضمن الله تعالى، لمن آمن به، وتمسك بدينه، واتبع هداه، وأكثر من ذكره، أن يعيش حياة هانئة وسعيدة، في دنياه وأخره، وفي المقابل، توعد الله تعالى من أعرض ذكره بالمعيشة الضنكة التي سيعاني فيها من الضيق والشدة في كل مراحل حياته في الدنيا وفي حياته البرزخية, وفي الآخرة سيُحشر أعمى. وقد اختلف أهل التفسير بالمراد بالمعيشة الضنكا المذكورة في هذه الآية، والتي جعلها الله تعالى لهؤلاء المعرضين عن ذكره، فقال ابن مسعود، وأبو سعيد الخدري، والسدي: إن المعيشة الضنكا تكون في حياة البرزخ والمراد بذلك عذاب القبر وضمته، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾ قال: "عذاب القبر"(٢)، وقال ابن عباس عند هذه الآية: "المعيشة الضنك في الدنيا: بأن تضيق عليه أبواب الخير فلا يهتدى لشيء منها، وله معيشة حرام يركض فيها قال الضحاك: فهذه المعيشة هي الكسب الخبيث، وبه قال عكرمة، وقال آخرون: المراد بالمعيشة الضنكا ما يكون لهم في جهنم؛ وذلك أنهم جعل طعامهم فيها الضريع والزقوم، قال الحسن في قوله: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾ قال: في جهنم، وقرأ ابن زيد قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾ حتى بلغ

٢٥٠/٥، الألوسي، روح المعاني ٣٢٧/٢١، مرجع سابق، محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الناشر: دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧، ٢١٢/٢٩.

(١) محمد ثناء الله العثماني المظهري، التفسير المظهرى الناشر، إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤ سنة الطبع : ١٤١٢هـ، تحقيق: غلام نبى تونسى، صـ٤٠٣٠، وينظر: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م ٤٤٤/٥، وينظر: محمد سيد طنطاوي التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، دار النشر: غير مذكور، صـ٤٣٣٦.

(٢) محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى، ١٤١١–١٩٩٠، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا برقم (٣٤٣٩)، وقال عنه الحاكم هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الإمام الذهبي في التلخيص قائلاً: هو على شرط مسلم.

﴿وَلَمْ يُؤْمِنْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ﴾ {طه: ١٢٧}، قال: هؤلاء أهل الكفر، ومعيشتهم الضنكا في النار فطعامهم من نار وهو والضريع والزقوم، وشرابهم من نار من وهو الغسلين، قال ابن السائب: وتلك المعيشة من الضريع والزقوم، قال ابن السائب: وتلك المعيشة من الضريع والزقوم"(١). ورجح الإمام الطبري عليه رحمة الله تعالى أن المراد بالمعيشة الضنك هي عذاب القبر في الحياة البرزخية، حيث قال: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هو عذاب القبر؛ لأن الله تبارك وتعالى اتبع ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾ {طه: ١٢٧}، فكان معلوما بذلك أن المعيشة الضنك التي جعلها الله لهم قبل عذاب الآخرة؛ لأن ذلك لو كان في الآخرة لم يكن لقوله تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾ معنى مفهوم؛ لأن ذلك إن لم يكن تقدمه عذاب لهم قبل الآخرة، حتى يكون الذي في الآخرة أشد منه، بطل معنى قوله تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾، فإذ كان ذلك كذلك، فلا تخلو تلك المعيشة الضنك التي جعلها الله لهم من أن تكون لهم في حياتهم الدنيا، أو في قبورهم قبل البعث، إذ كان لا وجه لأن تكون في الآخرة لما قد بينا، فإن كانت لهم في حياتهم الدنيا، فقد يجب أن يكون كل من أعرض عن ذكر الله من الكفار، فإن معيشته فيها ضنك، وفي وجودنا كثيرا منهم أوسع معيشة من كثير من المقبلين على ذكر الله تبارك وتعالى، القائلين له المؤمنين في ذلك، ما يدل على أن ذلك ليس كذلك، وإذ خلا القول في ذلك من هذين الوجهين صح الوجه الثالث، وهو أن ذلك في البرزخ(٢). ورجح هذا القول - أيضاً- العلامة ابن القيم حيث قال رحمه الله، قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا :"فسره غير واحد من السلف بعذاب القبر، وجعلوا هذه الآية أحد الأدلة الدالة على عذاب القبر، ولهذا قال ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾. أي تترك في العذاب، كما تركت العمل بآياتنا، فذكر عذاب البرزخ وعذاب دار البوار والمقصود: أن الله سبحانه أخبر أن من أعرض عن ذكره- وهو الهدى الذي من اتبعه لا يضل ولا يشقى- فإن له معيشة ضنكا، وتكفل لمن حفظ عهده أن يحييه حياة طيبة، ويجزيه أجره في الآخرة. فقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ

(١) ابن الجوزي، زاد المسير ٣٢٦/٤، مرجع سابق، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٣٢٤/٥، مرجع سابق، والرازي، مفاتيح الغيب ١٠/ مرجع سابق ٤٨٣، الألوسي، روح المعاني٢٩٥/١٢، مرجع سابق، السيوطي، الدر المنثور ٧/مرجع سابق ٤١، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١١/مرجع سابق ٢٥٩.

(٢) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، الطبري، جامع البيان ٣٩١/١٨، باختصار وتصرف، وينظر: أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل، الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقق: عبد الجليل عبده شلبي الناشر: عالم الكتب – بيروت ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ٣٧٨/٣، وينظر: الشوكاني، فتح القدير ٣٥/٥، مرجع سابق.

وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ {النحـــــل: ٩٧}، فأخبر سبحانه عن فلاح من تمسك بعهده علما وعملا في العاجلة بالحياة الطيبة وفي الآخرة بأحسن الجزاء، وهذا بعكس من له المعيشة الضنك في الدنيا والبرزخ ونسيانه في العذاب بالآخرة"(١)، فليحرص المسلم على الإكثار من ذكر الله تعالى بكل صوره وأنواعه؛ حتى يُبعده الله تعالى عن المعيشة الضنكا في حياته الدنيا، ويوم يدخل قبره في حياته البرزخية.

السبب الرابع: النفاق

النفاق من الأمراض التي تفتك بصاحبها في الدنيا والآخرة وتورده موارد التهلكة والعذاب، فصاحب النفاق يعيش في انفصام نكد بين ما يظهره للناس من إسلام وايمان، وبي نما يبطنه من كفر ونفاق، فهو يعيش في دنياه بين نار النفاق والكفر، ونار الفضيحة وانكشاف أمره وظهور حقيقته لمن يحاول مخادعتهم بنفاقه، وإذا مات إنسان ـ وهو مصر على نفاقه ـ عجَّل الله له عقوبة فعله هذه في حياة البرزخ في قبره، وفي يوم القيامة يدخله الله الدرك الأسفل من النار، وقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم أن النفاق من الأسباب الموجبة لعذاب صاحبها في حياته البرزخية، فقا ل تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ {التوبة: ١٠١}، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية: "قوله ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾، يقول: سنعذب هؤلاء المنافقين مرتين، إحداهما في الدنيا، والأخرى في القبر"(٢). وقال الإمام الرازي: "مراتب الحياة ثلاثة: حياة الدنيا، وحياة القبر، وحياة القيامة، فقوله تعالى: ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾ المراد منه عذاب الدنيا بجميع أقسامه، وعذاب القبر، ثم قال تعالى في آخر الآية: ﴿ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ المراد منه العذاب في الحياة الثالثة، وهي الحياة في القيامة يعني النار المخلدة المؤبدة"(٣). وقال الإمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية: "وهؤلاء الذين هم حول المدينة من المنافقين هم: جهينة ومزينة، وأشجع، وغفار، وأصل مرد وتمرد اللين والملاسة والتجرد، ومنه: غلام أمرد: لا شعر بوجهه، وأرض مرداء: لا نبات فيها، فالمعنى: أنهم أقاموا على النفاق وثبتوا عليه ولم ينثنوا عنه، قال ابن زيد: معناه لجوا فيه وأبوا غيره، وجملة: ﴿ لَا تَعْلَمُهُمْ ﴾ مبينة للجملة الأولى، وهي ﴿ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ ﴾: أي ثبتوا عليه ثبوتا شديدا، ومهروا فيه حتى خفي أمرهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكيف سائر المؤمنين؟ والمراد عدم علمه صلى الله عليه

(١) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن القيم الجوزية، التفسير القيم تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى - ١٤١٠هـ، صـ٣٧٥، باختصار، وينظر: عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة : الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م، صـ٥١٥.

(٢) الطبري، جامع البيان ٤٤١/١٤، مرجع سابق، وينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢٠٤/٤، مرجع سابق.

(٣) الرازي، مفاتيح الغيب، ١٣٢/٨، مرجع سابق، باختصار.

وسلم بأعيانهم لا من حيث الجملة، فإن للنفاق دلائل لا تخفى عليه صلى الله عليه وسلم، وجملة: ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ مقررة لما قبلها لما فيها من الدلالة على مهارتهم في النفاق ورسوخهم فيه، على وجه يخفى على البشر، ولا يظهر لغير الله سبحانه لعلمه بما يخفى، وما تجنه الضمائر وتنطوي عليه السرائر. ثم توعدهم سبحانه فقال: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ قيل: المراد بالمرتين: قيل: المصائب في أموالهم وأولادهم، وعذاب القبر، وقيل: عذاب الدنيا بالقتل والسبي، وعذاب الآخرة، وقيل: الفضيحة بانكشاف نفاقهم، والعذاب في الآخرة"(١). فمن مات مصراً على النفاق عجَّل الله له العذاب في حياته البرزخية، وتوعده في الآخرة بالدرك الأسفل من النار.

المبحث الثاني: بعض الأسباب المنجية من العذاب في الحياة البرزخية.

هناك أعملٌ صالحة حرص أصحابها على اكتسابها في حياتهم الدنيا، وجاهدوا أنفسهم لنيلها والحصول عليها، فاستحقوا أن يكرمهم الله تعالى في حياتهم البرزخية بأن ينجيهم من العذاب فيها، وفي الآخرة سيدخلهم الجنة في درجاتها العالية، وقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم بعض الأسباب المنجية من العذاب في الحياة البرزخية، وسوف نذكر بعضها في هذا المبحث، وسينتظم الحديث عنها في ثلاثة أسباب على النحو التالي:

السبب الأول: الإيمان بالله تعالى

قال تعالى عن هذا السبب ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ {إبراهيم: ٢٧}، فالمؤمن الذي يثبت على دينه في هذه الحياة الدنيا ـ رغم تعرضه للفتن والمحن، أو بسبب تعرضه للترغيب والترهيب - وعاش في دنياه ثابتاً على دينه معتصما بحبل الله تعالى، يكرمه الله تعالى بأن يثبته في الحياة الأخروية، وتستمر رحلة ثبات المؤمن في حياته البرزخية؛ بأن يوفقه الله للإجابة عن أسئلة القبر الخالدة، من ربك؟ مادينك؟ من نبيك؟ ثم يثبته الله مرة أخرى يوم القيامة، بأنه إذا سئل في عرصات يوم القيامة عن دينه ومعتقده فإن الله يثبته بالجواب السديد فلا يتلعثم أو يتحير في الجواب، وفي المقابل يضل الله الظالمين، فإذا سئلوا في قبورهم وآخرتهم عن دينهم ومعتقدهم ورسولهم قالوا: لا ندري فيضلهم الله عن الجواب، كما ضلوا في الدنيا عن الإيمان بكفرهم، وقد أشار الله تعالى في كتابه الكريم إلى ذلك، وبين أن الإيمان من أسباب ثبات العبد في دنياه وفي حياته البرزخية، وفي اليوم الآخر، قال أهل التفسير عند هذه الآية: هذه الآية وردت في فتنة القبر، وسؤال الملكين، وتلقين الله تعالى للمؤمنين كلمة الحق عند السؤال، وتثبيته إياه على الحق، فقوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: يثبتهم على الحق بالقول الثابت، وهو شهادة أن لا إله إلا الله، معنى ﴿ءَامَنُواْ﴾، أي بالتوحيد الخالص فوحدوه ونزهوه عما لا يليق بجنابه سبحانه، وقوله تعالى: ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي

(١) الشوكاني، فتح القدير٣٠٩/٣، مرجع سابق، باختصار وتصرف، وينظر: القرطبي، الجامع الأحكام القرآن، مرجع سابق ٢٤١/٨.

ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ فيه قولان أحدهما: أن ﴿ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ زمن المساءلة في القبور؛ لأن الموتى لايزالون في قبورهم في الدنيا حتى يبعثوا، و﴿ ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾: السؤال في القيامة، وإلى هذا المعنى ذهب طاووس ابن كيسان، وقتادة ابن دعامة، فيثبتهم الله بالقول الثابت والصواب عند السؤال في قبورهم، فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا أقعد المؤمن في قبره أتي ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فذلك، قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ ﴾، وزاد شعبة تعالى ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ نزلت في عذاب القبر"(١)، والمراد: أنهم إذا سئلوا عن معتقدهم ودينهم أوضحوا ذلك بالقول الثابت من دون تلعثم ولا تردد ولا جهل، كما يقول: من لم يوفق: لا أدري، فيقال له: لا دريت ولا تليت بمقتضاها. **الثاني:** أن ﴿ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾، زمان الحياة على وجه الأرض قال قتادة: أما ﴿ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ فيثبتهم بالخير والعمل الصالح، و﴿ ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ زمان المساءلة في القبر، وإلى هذا المعنى ذهب البراء بن عازب، وإنما فسروا الآخرة ههنا بالقبر؛ لأن الميت انقطع بالموت عن أحكام الدنيا ودخل في أحكام الآخرة، والقبر أول منازل الآخرة، ولهذا التثبيت في القبر بالقول الثابت تقرير عقلي وهو أنه كلما كانت المواظبة على الفعل أكثر كان رسوخ تلك الحالة في العقل والقلب أقوى، فكلما كانت مواظبة العبد على ذكر لا إله إلا الله وعلى التأمل في حقائقها ودقائقها أكمل وأتم كان رسوخ هذه المعرفة في عقله وقلبه بعد الموت أقوى وأكمل، قال ابن عباس: من داوم على الشهادة في الحياة الدنيا يثبته الله عليها في قبره ويلقنه إياها"(٢). وقال الإمام أبو جعفر الطبري: "والصواب من القول في معنى قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾، ما ثبت به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، وهو فيما قيل: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله(٣) وتثبيته إياهم في الحياة الدنيا بالإيمان بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ بمثل الذي ثبتهم به في الحياة الدنيا، وذلك في قبورهم حين يسألون عن الذي هم عليه من التوحيد والإيمان برسوله صلى الله عليه

(١) محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح المختصر، الناشر: دار ابن كثير بيروت، ط٣، ١٩٨٧، تحقيق: د.مصطفى ديب البغا برقم(١٢٨٠).

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير ٢٩/٤، مرجع سابق، وينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٥٠٠/٤، مرجع سابق، الرازي، مفاتيح الغيب، ٩/ ٢٤٧مرجع سابق ، الشوكاني، فتح القدير٤/ ١٤٥، مرجع سابق ، الألوسي، روح المعاني٣٦٢/٩، مرجع سابق.

(٣) ونص الحديث في ذلك، عن البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا أقعد المؤمن في قبره أتي ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ {إبراهيم:٢٧}، صحيح البخاري (١٢٨٠) مرجع سابق.

وسلم"[1]. قال الإمام العلامة ابن القيم: "فما مُنِحَ العبد منحة أفضل من منحة القول الثابت، والقول الثابت: هو القول الحق الصدق، وهو ضد القول الباطل الكذب، وأثبت القول: كلمة التوحيد ولوازمه، فهي أعظم ما يثبت الله بها عبده في الدنيا والآخرة، ويجد أهل القول الثابت ثمرته أحوج ما يكونون إليه في قبورهم، ويوم معادهم، فقوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ {إبراهيم: ٢٧}، فتحت هذه الآية كنز عظيم، من وفق لمعرفته وحسن استخراجه واقتنائه وأنفق منه فقد غنم، ومن حرمه فقد حرم؛ وذلك أن العبد لا يستغني عن تثبيت الله له طرفة عين، فإن لم يثبته الله، وإلا زالت سماء إيمانه وأرضه عن مكانهما، وقد قال تعالى لأكرم خلقه عليه عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ ﴾ {الإسراء: ٧٤} وقال له: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ ﴾ {هود: ١٢٠}، وقال تعالى لأكرم خلقه بعد رسله وهم صحابة رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ ﴾ {الأنفال: ١٢}. ومادة التثبيت أصله ومنشؤه من القول الثابت، وفعل ما أمر به العبد، فبهما يثبت الله عبده، فأثبت الناس قلبا: أثبتهم قولا، وكل من كان أثبت قولا وأحسن فعلا كان أعظم تثبيتا قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ ﴾ {النساء: ٦٦}، ولهذا ترى الصادق من أثبت الناس وأشجعهم قلبا، والكاذب من أبغض الناس وأخبثهم وأكثرهم تلونا، وأقلهم ثباتا"[2]. وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ أن الله تعالى يثبت عباده بكلمة الإيمان المستقرة في الضمائر، الثابتة في الفطر، المثمرة بالعمل الصالح المتجدد الباقي في الحياة، ويثبتهم بكلمات القرآن وكلمات الرسول، وبوعده للحق بالنصر في الدنيا، والفوز في الآخرة، وكلها كلمات ثابتة صادقة حقة، لا تتخلف ولا تتفرق بها السبل، ولا يمس أصحابها قلق ولا حيرة ولا اضطراب، فلا يزالون عن دينهم إذا فتنوا فى دينهم كنبي الله زكريا ويحيى، واصحاب الأخدود وخبيب وأصحابه واصحاب بئر معونة ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ يعنى إذا سئلوا فى القبور، ومعنى تثبيت الذين آمنوا بها، أن الله يسر لهم فهم الأقوال الإلهية على وجهها وإدراك دلائلها حتى اطمأنت إليها قلوبهم ولم يخامرهم فيها شك فأصبحوا ثابتين في إيمانهم غير مزعزعين وعاملين بها غير مترددين، ذلك في الحياة الدنيا ظاهر، وأما في الآخرة فبإلقائهم الأحوال على نحو مما علموه في الدنيا، فلم تعترهم خوف ولا ندامة، ويكون ذلك بمظاهر كثيرة يظهر فيها ثباتهم بالحق قولا وانسياقا، وتظهر فيها فتنة غير المؤمنين في الأحوال كلها. ومعنى ﴿بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ القول الذي يقوم على

(١) الطبري، جامع البيان ٦٠٢/١٦، مرجع سابق، بتصرف يسير.
(٢) ابن القيم، التفسير القيم،صـ٣٤٦، بتصرف واختصار.

دعائم الحق، ولا يتزلزل لباطل، ويصح أن نقول: إن الثبات صفة لصاحب القول، وأضيفت إلى القول؛ لأنه لا يثبت القول إلا بثبات صاحبه الذي لا تزلزله بواعث الهوى ولا أوهام الشيطان. إن القول الثابت كما يشمل الصبر في العقيدة يدخل في عمومه الثبات على الحق في نصيحة الحاكم، والامتناع عن قول الباطل مداهنة له، ويقول للحاكم الظالم: اتق الله، ويكررها كلما اقتضت الحال قولها في غير مواربة، إلا إذا كانت الحكمة أن يداري لأجل إيصال الحق إلى قلب الحاكم، وتسويغه في نفسه، فللقول سياسة، وللعلم سياسة، ومنها تسويغ الحق ليهضم معناه، وخصوصا في أزمان الفساد كالزمن الذي نعيش فيه، وما ضيع المسلمين إلا سكوتهم عن القول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة. ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بظلمهم وشركهم وبعدهم عن النور الهادي، واضطرابهم في تيه الظلمات والأوهام والخرافات واتباعهم مناهج وشرائع من الهوى لا من اختيار الله، يضلهم وفق سنته التي تنتهي بمن يظلم ويعمى عن النور ويخضع للهوى إلى الضلال والتيه والشرود، ووصفهم بالظالمين فيه إشارة إلى أنهم يبدؤون بالسير في طريق الظلم الذي يشمل الظلم في الاعتقاد بالإشراك، والظلم للنفس بارتضاء طريق الشر، والظلم للناس في معاملاتهم، وفتنة الناس في دينهم وإيذائهم في اعتقادهم. ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾. بإرادته المطلقة، التي تختار الناموس، فلا تتقيد به ولكنها ترضاه، حتى تقتضي الحكمة تبديله فيتبدل في نطاق المشيئة"(١). فمن أراد الثبات في الحياة وفي حياته البرزخية بعد موته، فعليه أن يعمل على تثبيت قواعد الإيمان وشعبة في قلبه ونفسه، وأن تظهر عليه آثاره، قولاً باللسان، واعتقاداً بالجَنان، وعملاً بالجوارح والأركان.

السبب الثاني: الشهادة في سبيل الله تعالى

الجهاد في سبيل الله تعالى طريق العزة والكرامة، فبه يصد العدوان، وتسترد الحقوق المغتصبة من قبل المعتدين، وبه تصان ديار الإسلام والمسلمين، لهذا لما قدم الشهداء أنفسهم رخيصة ابتغاء مرضاة الله تعالى ونصرة دينه، استحقوا بذلك أن يعاملهم الله تعالى معاملة خاصة، في حياتهم البرزخية، بأن ينجيهم الله تعالى من عذاب القبر وفتنته، ويجعلهم أحياء يرزقون وينعمون في عالم البرزخ، ولا يمكن لأحد أن يعرف حقيقة هذه الحياة؛ لأنها من عالم الغيب. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه المعاني في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ {البقرة: ١٥٤}، قال الإمام القرطبي رحمة الله عليه: "وقد اختلف العلماء في حياة الشهداء في قبورهم، فالذي عليه المعظم أن حياة الشهداء محققة، ثم منهم من يقول: ترد إليهم الأرواح في قبورهم فينعمون، كما يحيا الكفار في قبورهم فيعذبون، وقال مجاهد: يرزقون من ثمر الجنة، أي يجدون ريحها وليسوا فيها، وصار قوم إلى أن هذا مجاز، والمعنى أنهم في حكم الله مستحقون للتنعم في الجنة. وهو كما يقال: ما مات فلان، أي ذكره حي، وقال آخرون: أرواحهم في أجواف طير خضر وأنهم يرزقون في الجنة ويأكلون ويتنعمون، وهذا هو الصحيح من الأقوال؛ لأن

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن ٤٠١/٤، مرجع سابق، وينظر: محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير، دار النشر: دار الفكر العربي ٤٠٢٣/٨، المظهري، تفسير المظهري ٢٦٨/٥، مرجع سابق، ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢٢٦/١٣، مرجع سابق.

ما صح به النقل فهو الواقع، وحديث ابن عباس(١) نص يرفع الخلاف، وكذلك حديث ابن مسعود خرجه مسلم(٢)، وأما من تأول في الشهداء ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾، أنهم أحياء بمعنى أنهم سيحيون فبعيد يرده القرآن والسنة، فإن قوله تعالى ﴿ بَلْ أَحْيَاءٌ ﴾ دليل على حياتهم، وأنهم يرزقون ولا يرزق إلا حي؛ ولأن حياة الشهداء في البرزخ من حياة الآخرة فقد أخفى الله سبحانه عنا تفاصيلها، لهذا قال تبارك وتعالى: ﴿ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾، وما دمنا لا نشعر بها فلابد أن تكون حياة أعلى من حياتنا الدنيوية"(٣)، وقال الإمام الطبري: "فإن قال لنا قائل: فما الذي خُصَّ به القتيل في سبيل الله في قبره، من دون الأموات في قبورهم؟ في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ قيل: إنهم مرزوقون من مآكل الجنة ومطاعمها في بَرْزَخِهم قَبل بعثهم، ومنعَّمون بالذي ينعم به داخلوها بعد البعث من سائر البشر، من لذيذ مطاعمها الذي لم يُطعمها الله أحدًا غيرَهم في برزخه قبل بعثه، فذلك هو الفضيلة التي فضَّلهم بها وخصهم بها، فقال تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ {آل عمران: ١٦٩–١٧٠}"(٤). وما أحسن ما سطره يراع سيد قطب في ظلاله حول هذه الآية.. !!، حيث قال: "إن هنالك قتلى سيخرون شهداء في معركة الحق، شهداء في سبيل الله، فالذين يضحون بأرواحهم في معركة الحق، هم عادة أكرم القلوب وأزكى الأرواح وأطهر النفوس هؤلاء الذين يقتلون في سبيل الله ليسوا أمواتا. إنهم أحياء. فلا يجوز أن يقال عنهم: أموات، ولا يجوز أن يعتبروا أمواتا في الحس والشعور، ولا أن يقال عنهم

(١) عن بن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله عز وجل أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن منقلبهم قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله عز وجل أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله عز وجل هؤلاء الآيات على رسوله قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ {عمران: ١٦٩}، ينظر: أحمد بن حنبل الشيباني، المسند، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م برقم(٢٣٨٨)، وقال شعيب الأرناؤوط: حديث حسن.

(٢) عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش، فاطلع عليهم ربك اطلاعه، قال: ماذا تبغون؟ فقالوا: يا ربنا، وأي شيء نبغي، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك؟ ثم عاد إليهم بمثل هذا، فلما رأوا أنهم لا يتركون من أن يسألوا، قالوا: نريد أن تردنا إلى الدار الدنيا، فنقاتل في سبيلك، حتى نقتل فيك مرة أخرى؛ لما يرون من ثواب الشهادة - فيقول الرب جل جلاله: إني كتبت أنهم إليها لا يرجعون" ينظر: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت برقم (١٨٨٧).

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٧٠/٤، مرجع سابق، باختصار وتصرف.

(٤) الطبري، جامع البيان ٢١٦/٣، مرجع سابق باختصار وتصرف .

أموات بالشفة واللسان، إنهم أحياء بشهادة الله سبحانه، إنهم قتلوا في ظاهر الأمر، وحسبما ترى العين، ولكن حقيقة الموت وحقيقة الحياة لا تقررهما هذه النظرة السطحية الظاهرة، إن سمة الحياة الأولى هي الفاعلية والنمو والامتداد، وسمة الموت الأولى هي السلبية والخمود، وهؤلاء الذين يقتلون في سبيل الله فاعليتهم في نصرة الحق الذي قتلوا من أجله فاعلية مؤثرة، والفكرة التي من أجلها قتلوا ترتوي بدمائهم وتمتد، وتأثر الباقين وراءهم باستشهادهم يقوى ويمتد، فهم ما يزالون عنصرا فعالا دافعا مؤثرا في تكييف الحياة وتوجيهها، وهذه هي صفة الحياة الأولى، فهم أحياء أولا بهذا الاعتبار الواقعي في دنيا الناس. ثم هم أحياء عند ربهم إما بهذا الاعتبار، وإما باعتبار آخر لا ندري نحن كنهه. وحسبنا إخبار الله تعالى به: ﴿أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾، لأن كنه هذه الحياة فوق إدراكنا البشري القاصر المحدود، ولكنهم أحياء، أحياء ومن ثم لا يغسلون كما يغسل الموتى، ويكفنون في ثيابهم التي استشهدوا فيها، فالغسل تطهير للجسد الميت وهم أطهار بما فيهم من حياة، وثيابهم في الأرض ثيابهم في القبر؛ لأنهم بعد أحياء"[1]، وقد وردت أحاديث نبوية عن النبي صلى الله عليه وسلم تبين أن الشهيد في سبيل الله تعالى يؤمنه الله في حياته البرزخية من عذاب القبر وفتنته، فعن معدان عن المقدام بن معدي كرب الكندي رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للشهيد عند الله ست خصال يغفر له في أول دفعة ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع في سبعين من أقاربه "[2] وممن يرجى أن ينالوا النجاة من عذاب القبر في حياة البرزخ من وصفهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأنهم شهداء ممن لم يستشهدوا في معارك قتالية مع الكفار، بل ما تو موتاً طبيعيا، بعلل خطيرة، وأسباب فضيعة، فجزاهم الله عن ذلك بأن بلغهم درجة الشهداء ونجاهم من عذاب القبر، فعن جابر بن عتيك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله: المطعون شهيد والغريق شهيد وصاحب ذات الجنب شهيد والمبطون شهيد وصاحب الحريق شهيد والذي يموت تحت الهدم شهيد والمرأة تموت بجمع شهيد**"[3]. فاللهم قنا من فتنة القبر وعذابه، واختم لنا بالشهادة في سبيلك، بعد طول عمر وحسن عمل.

السبب الثالث: قراءة سورة الملك

هناك سورة كثيرة في كتاب الله تعالى لها فضائل متعددة ومتنوعة، ومن هذه السور التي لها فضائل، سورة الملك، ومن فضائلها أن من داوم على قراءتها، في يومه وليلته وقاه الله تعالى عذاب القبر وفتنته، فعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**سورة تبارك**

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن١١٤/١مرجع سابق، باختصار يسير.

(٢) ينظر: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، الجامع الكبير، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الناشر: دار الجيل - بيروت + دار العرب الإسلامي - بيروت الطبعة: الثانية ١٩٩٨م برقم (١٦٦٣)، وقال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب، وينظر: أحمد ابن حنبل، المسند برقم (١٧٢٢١) وقال عنه شعيب الأرناؤوط: رجاله ثقات غير إسماعيل بن عياش فقد اضطرب فيه, واللفظ للترمذي.

(٣) محمد ناصر الدين الألباني، صحيح أبي داوود الناشر، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، برقم(٣١١١).

هي المانعة من عذاب القبر"[1]. وجاء عند الترمذي من حديث ابن عباس رضى الله عنه قال: "ضرب بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ {الملك: ١} حتى ختمها، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني ضربت خبائي على قبر، وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ حتى ختمها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**هي المانعة، هي المنجية تنجيه من عذاب القبر**"[2]. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه- أيضا- قال: "يؤتى الرجل في قبره فتؤتى رجلاه فتقول ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ سورة الملك، ثم يؤتى من قبل صدره أو قال بطنه فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ في سورة الملك، ثم يؤتى من قبل رأسه فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ في سورة الملك فهي المانعة تمنع عذاب القبر، وهي في التوراة سورة الملك من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطيب"[3]، فليحرص المسلم على قراءة هذه السورة المباركة، علَّها أن تكون من أسباب نجاته من عذاب القبر.

المبحث الثالث: شبهات الفرق المنكرة لحياة البرزخ، والرد عليها.

بليت الأمة الإسلامية، في تاريخها القديم والحديث، بظهور فرق وحركات تنتسب للإسلام، عملت على تشكك الأمة في قرآنها وسنة نبيها صلى الله عليه وسلم، وجعلت من العقل حاكما عليهما، وبالتالي عملت على شكيك أبناء الأمة الإسلامية في بعض معتقداتها، التي تلقها الأمة بالقبول جيلاً بعد جيل، دون اعتبار للقواعد الشرعية والأصولية المرعية، وهي مع ذلك جادة في نشر شبهاتها والعمل على تقرير أصولها، وطرح معتقداتها بين أبناء المسلمين. ومعظم أصحاب هذه الفرق خالفت جماهير المسلمين، في مسائل تتعلق بأصول الدين وثوابته، ولو كان الاختلاف معهم في المسائل الفرعية، وكان خلافهم ناتجا عن بحث واجتهاد وتحقيق واتباع للدليل من الكتاب السنة، لكانوا معذورين في ذلك، ولكنهم أعرضوا عن هذا النوع من الخلاف، وخالفوا جماهير المسلمين في بعض الأصول المجمع عليها، قال ابن قتيبة: "ولو كان اختلافهم في الفروع والسنن لا تسع لهم العذر عندنا، كما اتسع لأهل الفقه، ووقعت لهم الأسوة بهم، ولكن اختلافهم في التوحيد، وفي صفات الله تعالى، وفي قدرته، وفي عذاب البرزخ، وفي اللوح، وفي نعيم أهل الجنة، وعذاب أهل النار، غير ذلك من الأمور التي لا يعلمها نبي إلا بوحي من الله تعالى"[4]. وقال الإمام ابن تيمية: "ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، مما يكون بعد الموت: فيؤمنون

(١) محمد ناصر الدين الألباني، السلسلة الصحيحة، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م برقم(١١٤٠).

(٢) أبو عيسى الترمذي، سن الترمذي برقم (٢٨١٥)، مرجع سابق وقال الترمذي: حديث حسن غريب. وقال الألباني معلقاً على هذا الحديث، هذا حديث ضعيف، وإنما يصح منه قوله: "هي المانعة...".

(٣) أبوا عبد الله الحاكم، المستدرك، مرجع سابق، برقم(٣٨٣٩)، وقال عنه الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني، ينظر: محمد ناصر الدين الألباني، صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، الناشر: مكتَبة المَعارف لِلنَشْر والتوزيْع، الرياض - المملكة العربية السعودية. الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، برقم(١٤٧٥).

(٤) عبدالله بن قتيبة الدينوري، تأويل مختلف الحديث، دار الجيل - بيروت، ١٩٧٢، تحقيق: محمد زهري النجار، صـ١٥، باختصار وتصرف يسير.

بفتنة القبر، وبعذاب القبر، ونعيمه، فأما الفتنة: فإن الناس يفتنون في قبورهم، فيقال للرجل: "من ربك، وما دينك، ومن نبيك؟ فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، فيقول المؤمن: الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد صلى الله عليه وسلم نبي، وأما المرتاب فيقول: هاه، هاه[١]، لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئا فقلته؛ فيضرب بمرزبة[٢] من حديد، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها لصعق ثم بعد هذه الفتنة: إما نعيم وإما عذاب، إلى أن تقوم القيامة الكبرى، فتعاد الأرواح إلى الأجساد، وتقوم القيامة التي أخبر الله بها في كتابه، وعلى لسان رسوله، وأجمع عليها المسلمون، فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاة عراة غرلا[٣]، وتدنو منهم الشمس، ويلجمهم العرق"[٤]. ومن أشهر هذه الفرق التي خالفت جماهير المسلمين، في مسألة الحياة البرزخية في القبور وما فيها من نعيم وعذاب فرقتي الخوارج[٥] والمعتزلة[٦]، وإنما وقع اختيارنا على هاتين الفرقتين دون غيرها لأسباب: **أولا:** مخالفتهم الصريحة للثوابت والمسلمات. **ثانيا:** عظم فتنتهم وتأثيرهم البالغ في أوساط أبناء المسلمين قديماً وحديثا. **ثالثا:** وجد لهم الكثير من التلاميذ في حياتنا المعاصرة، فقد تتلمذ الكثير ممن جاء على كتبهم وتبعوا منهجهم. وفي هذا المبحث سوف نستعرض عقائد هاتين الفرقتين في الحياة البرزخية، وسوف نذكر شبهاتهم التي اعتمدوا عليها في انكار الحياة البرزخية، وسنرد عليها بحسب ما يقتضيه المقام؛ حتى يحذر المسلم من الإغترار بها أو الوقوع فيها. وسوف ينتظم الحديث في هذا المبحث في مطلبين على النحو التالي:

المطلب الأول: حياة البرزخ عند الخوارج، وشبهاتهم حولها

أنكرت لخوارج الحياة البرزخية، وما فيها من نعيم وعذاب في القبر، ولم يلتفتوا إلى ما جاء فيه من الأحاديث الصحيحة التي تؤكد ثبوته[٧]. قال الإمام ابن حجر: "نفى (عذاب القبر) مطلقا الخوارج

(١) هاه هاه هذه كلمة تقال في الإبعاد وفي حكاية الضحك وقد تقال للتوجع، وهو الأليق بمعنى هذا الحديث، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي ٢٨٤/٥.

(٢) المِطْرَقة الكبيرة التي تكون للحَدّاد، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢١٩/٢، مرجع سابق.

(٣) الغُرْلُ: جمع الأَغْرَل وهو الأَقْلَف والغُرْلَة القُلْفة، ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث٣٦٢/٣، مرجع سابق.

(٤) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: أنور الباز، الناشر: دار الوفاء، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ١٤٥/٣، باختصار.

(٥) الخوارج: كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى: خارجياً؛ سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان؛ والأئمة في كل زمان، وأطلق على أولئك النفر، الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، بعد قبوله التحكيم عقب معركة صفين ينظر: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، الملل والنحل الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٤٠٤، تحقيق: محمد سيد كيلاني١١٣/١.

(٦) **المعتزلة**: سموا بذلك، لما اعتزلوا الجماعة، بعد موت الحسن البصري رحمه الله، في أوائل المائة الثانية، وكانوا يجلسون معتزلين، ينظر: علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة: الثانية - ١٤١٤، صـ ٥٢٤.

(٧) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: نعيم زرزور، الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ٣١٨/٢. وينظر: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة ١١٧/٤.

وخالفهم في ذلك جميع أهل السنة وغيرهم وأكثروا من الاحتجاج له"[١]. وخالفوا في ذلك إجماع الصحابة والتابعين في هذه المسألة، كما قال الإمام أبو الحسن الأشعري[٢]، وممن نقل الإجماع في هذه المسألة شيخ الإسلام ابن تيمية[٣]. وقال الآمدي: "وقد اتفق سلف الأمة قبل ظهور الخلاف وأكثرهم بعد ظهوره على إثبات إحياء الموتى في قبورهم ومساءلة الملكين لهم وتسمية أحدهما منكرا والآخر نكيرا وعلى إثبات عذاب القبر للمجرمين والكافرين، وذهب ضرار ابن عمر وبشر المريسي وأكثر المتأخرين من المعتزلة إلى إنكار ذلك كله "[٤]. وممن تابع الخوارج في مذهبهم في العصر الحديث ـ واعتمدوا على شبهاتهم في إنكار الحياة البرزخية - فرقة تسمى بالقرآنيين[٥]، وقد تزعم التكذيب بالحياة البرزخية في القبور في العصر الحديث زعيم الطائفة في مصر أحمد صبحي منصور في كتاب له سماه "عذاب القبر والثعبان الأقرع" والذي أصدره سنة ١٩٩٤، وهو ينكر في كتابه هذا عذاب القبر؛ لأنه لم يرد له ذكر في القرآن الكريم حسب زعمه، ويرد الأحاديث الواردة؛ بحجة أنها ليست متواترة، ويرى أن ما ورد من أحاديث تتحدث عن عذا القبر إنما هى من قبيل الإرهاب الديني، والذي يهدف للسيطرة على الناس في أمور دينهم ودنياهم، وقد قال في هذا الصدد:" إن المتطرفين يركزون في الخطب والكتابات على عذاب القبر والثعبان الأقرع وعذاب الآخرة؛ ليشبعوا الإرهاب الديني في النفوس؛ ومن ثم يسهل السيطرة على الناس، فلطالما أخضعوا لهم الناس بالدين كان سهلاً أن يخضع لهم الناس في أمور الدنيا"[٦]، إن الخوارج والقرآنين[٧] الذين ينكرون عذاب القبر يحتجون بآيات قرآنية جاءت في سياق الحديث عن موضوعات أخرى، وليست كما يزعمون بأنها تنفي وجود الحياة البرزخية، فهي تتحدث عن أهل الكفر، وتشبيههم بالموتى في عدم انتفاعهم بالمواعظ والآيات، وإما تتحدث عن حال أهل النار، وندمهم على المصير الذي وصلوا إليه بسبب كفرهم بالله تعالى، أو تتحدث عن نعيم أهل الجنة وما من الله تعالى عليهم به من نعيم لا يعقبه موت، وسوف نذكر الآيات التي استدل بها الخوارج على انكار الحياة البرزخية إلى فروع على النحو التالي:

(١) أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، الناشر: دار المعرفة - بيروت عام١٣٧٩، ٤٤٣/٤، باختصار.

(٢) أبو الحسن الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة الناشر: دار الأنصار- القاهرة الطبعة الأولى، ١٣٩٧، تحقيق: د.فوقية حسين محمود صـ١٤.

(٣) ابن تيمية، الفتاوي ٣٤١٢/١، مرج سابق.

(٤) سيف الدين الآمدي، أبكار الأفكار، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ط٣ ١٤٢٤ ٤/ ٣٣٢، وينظر: نعمان الألوسي، لآيات البينات في عدم سماع الأموات على مذهب الحنفية السادات، الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الرابعة، محمد ناصر الدين الألباني، صـ٨٨.

(٥) القرآنيون: هم فرقة ظهرت في مصر على يد الدكتور الأزهريّ المصريّ أحمد صبحي منصور، الذي بدأ في حرب الإسلام والسنة المطهرة منذ سنة ١٩٧٧م، تأخذ بالقرآن دون السنة بزعمهم، وهم ينكرون أحوال البرزخ، والشفاعة، للمؤمنين يوم القيامة وغير ذلك، ينظر: القرآنيون، نشأهم - عقائدهم - أدلتهم، علي محمد زينو، الناشر: دار القبس، دمشق، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م. صـ٥٧.

(٦) أحمد صبحى منصور، عذاب القبر والثعبان الأقرع، الناشر: مكتبة مدبولي، ٢٠١٥، صـــ٢١.

(٧) أرى أن التسمية المناسبة لهم أن يُسمو (بمنكري السنة)؛ لأنهم لو آمنوا بالقرآن حق الإيمان لآمنوا بالسنة النبوية؛ لأنها المبينة للقرآن والشارحة له، وفي تسميتهم بالقرآنيين تشريفا لهم لا يستحقونه.

الآيـة الأولـى: قولـه تعـالى:﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ {النمل: ٨١}. حيث قالوا: إن الله تعالى نفى في هذه الآية عدم سماع الأموات، ولوكان لهم حياة في قبورهم لما نفي الله عنهم السماع. يمكن الجواب على هذه الشبهة باختصار ويُقال لأصحابها: إن المراد بالسماع المنفي عن الأموات هو السماع الذي ينتفع به صاحبه، وليس المراد نفي جميع السماع عنهم، وفي الآية مثل مضروب وضحه الإمام الطبري بقوله: "هذا مثل معناه: فإنك لا تقدر أن تفهم هؤلاء المشركين الذين قد ختم الله على أسماعهم فسلبهم فهم ما يتلى عليهم من مواعظ تنزيله كما لا تقدر أن تفهم الموتى الذين سلبهم الله أسماعهم بأن تجعل لهم أسماعا وقوله: ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَإِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴾ يقول: كما لا تقدر أن تسمع الصم الذين قد سلبوا السمع إذا ولوا عنك مدبرين كذلك لا تقدر أن توفق هؤلاء الذين قد سلبهم الله فهم آيات كتابه لسماع ذلك وفهمه، ثم روى بإسناد صحيح عن قتادة قال: هذا مثل ضربه الله للكافر فكما لا يسمع الميت الدعاء كذلك لا يسمع الكافر ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَإِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴾، يقول: لو أن أصم ولى مدبرا ثم ناديته لم يسمع كذلك الكافر لا يسمع ولا ينتفع بما سمع"(١)، وقال الإمام القرطبي: "﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ يعني الكفار لتركهم التدبر، فهم كالموتى لا حس لهم ولا عقل. وقيل: هذا فيمن علم أنه لا يؤمن، ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ ﴾ يعني الكفار الذين هم بمنزلة الصم عن قبول المواعظ، فإذا دعوا إلى الخير أعرضوا وولوا كأنهم لا يسمعون"(٢). قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "قوله: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ إنما أراد به السماع المعتاد الذي ينفع صاحبه فإن هذا مثل ضرب للكفار والكفار تسمع الصوت لكن لا تسمع سماع قبول بفقه واتباع كما قال تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ {البقـــــرة: ١٧١}، فهكذا الموتى الذين ضرب لهم المثل لا يجب أن ينفى عنهم جميع أنواع السماع المعتاد، كما لم ينف ذلك عن الكفار؛ بل قد انتفى عنهم السماع المعتاد الذي ينتفعون به وأما سماع آخر فلا ينفى عنهم"(٣)، وللشيخ الشنقيطي رحمة الله عليه، رداً شافياً مطولاً حول هذه القضية يمكن الرجوع إليه في تفسيره (٤). فثبت من هذه النقول المعتمدة أن السماع المنفي عن الموتى في قبورهم هو السماع الذي ينتفع به صاحبه لا مطلق السماع.

(١) الطبري، جامع البيان ١١٧/٢٠، مرجع سابق، باختصار.
(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٣٢/١٣، مرجع سابق.
(٣) ابن تيمية، مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٤٩/١)، مرجع سابق، باختصار وتصرف.
(٤) محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ت (١٣٩٣هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان عام النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ١٩١/٦.

الآيـــــة الثانيـــــة: قولـــــه تعـــــالى: ﴿ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ { يس: ٥٢}. حيث قالوا: إن الله تعالى أخبر عن أهل القبور حال بعثهم من قبورهم أنهم كانوا في حالة رقاد ونوم، وفي الآية "دليل على أنهم لم يكونوا معذبين قبل ذلك"(١) وللرد على هذه الشبهة نقول لهم: إن الإنسان يدخل الحياة البرزخية، بمجرد موته، ثم تبدأ حياته البرزخية من نعيم أو عذاب بحسب أعماله التي عملها في الدنيا، وتستمر حياته البرزخية إلى قيام الساعة، وبالتحديد إلى أن يأمر الله تعالى إسرافيل بالنفخة الأولى في الصور، وعندها تموت جميع الخلائق إلا من شاء الله تعالى، وبعد ذلك تنام الخلائق في قبورها إلى أن يأمر الله تعالى إسرافيل بالنفخة الثانية في الصور، فقد ثبت من حديث أبي هريرة أنه - صلى الله عليه وسلم - قال: "بين النفختين أربعون" قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوما، قال: أبيت، قالوا: أربعون شهرا، قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة، قال: أبيت"(٢) ومعنى أبيت، أي أبيت أن أسأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعندما يستيقظ الناس من نومتهم ويخرجون من قبورهم، وعندها يقولون هذا الكلام الذي حكاه الله عنهم أنهم يقولون: ﴿ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ ﴾، قال الإمام ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ ﴾؟ يعنون: من قبورهم التي كانوا يعتقدون في الدار الدنيا أنهم لا يبعثون منها، فلما عاينوا ما كذبوه في محشرهم ﴿ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ ﴾، وهذا لا ينفي عذابهم في قبورهم؛ لأنه بالنسبة إلى ما بعده في الشدة كالرقاد، وقال أبي بن كعب، ومجاهد، والحسن، وقتادة: "ينامون نومة قبل البعث، قال قتادة: وذلك بين النفختين"(٣). وقال الإمام القرطبي: "فإن قيل: كيف قالوا هذا وهم من المعذبين في قبورهم؟ فالجواب: أن أبو صالح قال: إذا نفخ النفخة الأولى رفع العذاب عن أهل القبور وهجعوا هجعة (أي ناموا نومة) إلى النفخة الثانية وبينهما أربعون سنة، فذلك قولهم ﴿ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ ﴾ وقال ابن عباس وقتادة وقال أهل المعاني: إن الكفار إذا عاينوا جهنم وما فيها من أنواع العذاب صار ما عذبوا به في قبورهم إلى جنب عذابها كالنوم، قال مجاهد: فقال لهم المؤمنون ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴾، قال قتادة: فقال لهم من هدى الله ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴾، وقال الفراء: فقال لهم الملائكة: ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴾ وقال النحاس: وهذه الأقوال متفقة؛ لأن الملائكة من المؤمنين وممن هدى الله عز وجل"(٤)، وقال الشيخ الشنقيطي:

(١) نعمان بن محمود الألوسي، لآيات البينات في عدم سماع الأموات على مذهب الحنفية السادات، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ، صـ٩٠.

(٢) البخاري، صحيح البخاري برقم ٤٥٥٤، مرجع سابق، مسلم، صحيح ومسلم رقم (٥٢٥٣) مرجع سابق، قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم: "معناه" أبيت أن أجزم "أن المراد أربعون يوما، أو سنة، أو شهرا، بل الذي أجزم به أنها أربعون مجملة، وقد جاءت مفسرة من رواية غيره في غير مسلم أربعون سنة، شرح صحيح مسلم، للنووي ٣٤٣/٩.

(٣) ابن كثير تفسير القرآن العظيم، ٥٨١/٦، مرجع سابق، وينظر: الرازي مفاتيح الغيب ٦٤/١٣، مرجع سابق.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٣٩/١٥، مرجع سابق باختصار بسبر، وينظر: الشوكاني، فتح القدير، ١٧٠/٦، مرجع سابق.

"والتحقيق أن هذا القول الكفار عند البعث، والآية تدل على دلالة لا لبس فيها على أنهم ينامون نومة قبل البعث، وعند بعثهم أحياء من تلك النومة التي هي نومة موت يقول لهم الذين أوتوا العلم والإيمان: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾: أي هذا البعث بعد الموت، الذي وعدكم الرحمن على ألسنة رسله، وصدق المرسلون في ذلك، كما شاهدتموه عيانا"(١).

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ {آل عمران: ١٨٥}. حيث قالوا: إن توفية أجور الأعمال والجزاء عليها إنما يكون يوم القيامة، وليس في الحياة البرزخية في القبور، التي هي مرحلة فاصلة بين الحياة الدنيا والآخرة ولا يجري فيها للناس لا نعيم ولا عذاب، قال: صاحب المنار "واستدل بهذه الآية من ينكر عذاب القبر ونعيمه، أي ما تذوقه هذه النفوس في البرزخ الذي بين هذه الحياة القصيرة، وتلك الحياة الطويلة"(٢)، **وللرد على هذه الشبهة نقول:** إن هذه الآية تثبت وجود الحياة البرزخية في القبور ولا تنفيها؛ لأن كلمة ﴿تُوَفَّوۡنَ﴾ تشعر أن هناك نعيم أو عذاب قد حصل للناس في حياتهم البرزخية في قبورهم قبل يوم القيامة، وأن توفية الحساب واستكماله إنما يكون يوم القيامة، ولم يذكر الله تعالى ذلك في كتابة؛ لقصر تلك الفترة مقارنة بالحياة في اليوم الآخر، وإلى هذا المعنى ذهب كثير من أهل التفسير، وقال الإمام الألوسي: "وفي لفظ "التوفية" إشارة إلى أن بعض أجورهم من خير أو شر تصل إليهم قبل ذلك اليوم، ويؤيده ما أخرجه الترمذي عن أبي سعيد الخدري مرفوعا أنه صلى الله عليه وسلم قال "**القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران**"(٣) وقيل: النكتة في ذلك أنه قد يقع الجزاء ببعض الأعمال في الدنيا، ولعل من ينكر عذاب القبر تتعين عنده هذه النكتة"(٤). وقال الإمام الشوكاني قوله تعالى ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ أجر المؤمن: الثواب، وأجر الكافر: العقاب، أي: أن توفية الأجور، وتكميلها إنما تكون في ذلك اليوم، وما يقع من الأجور في الدنيا، أو في البرزخ، فإنما هو بعض الأجور"(٥).

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿١١﴾﴾ {غافر: ١١}. قال الإمام ابن حزم وقد احتج من أنكره (أي عذاب القبر) بقول الله تعالى بقوله الله تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿١١﴾﴾{ غافر: ١١}. حيث قالوا: إن الله تعالى ذكر حياتين وموتتين للناس، ولم يذكر الحياة

(١) الشنقيطي، أضواء البيان ٢٧١/٦، مرجع سابق.
(٢) محمد رشيد بن علي رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٩٠م، ٢٢٢/٤.
(٣) سبق تخريجه في المقدمة.
(٤) الألوسي، روح المعاني ٣٤٧/٣، مرجع سابق، وينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي صـ١٣١٣.
(٥) الشوكاني، فتح القدير ٦٢/٢، مرجع سابق، وينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٣٠٢/٤، مرجع سابق.

والموت لأهل القبور(١). وقد أورد الإمام الرازي شبهات القائلين بعدم وجود حياة في القبور مستدلين بقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾{غافر: ١١}، ورد عليها حيث قال رحمه الله: "إن هذه الآية تدل على المنع من حصول الحياة في القبر (على رأي منكري الحياة البرزخية) وبيانه أنه لو كان الأمر كذلك لكان قد حصلت الحياة ثلاث مرات أولها: في الدنيا، وثانيها: في القبر، وثالثها: في القيامة، والمذكور في الآية ليس إلا حياتين فقط، فتكون إحداهما الحياة في الدنيا والحياة الثانية في القيامة والموت الحاصل بينهما هو الموت المشاهد في الدنيا، **وللجواب على هذه الشبهات نقول**: وأما قولهم ظاهر الآية يمنع من إثبات حياة في القبرة إذ لو حصلت هذه الحياة لكان عدد الحياة ثلاث مرات لا مرتين، فالجواب عليه من وجوه: **الأول:** هو أن مقصودهم (أي مقصود أهل النار لأن هذه الآية تحكي مقولة أهل النار وهم فيها) تعديد أوقات البلاء والمحنة وهي أربعة الموتة الأولى، والحياة في القبر، والموتة الثانية، والحياة في القيامة، فهذه الأربعة أوقات البلاء والمحنة، فأما الحياة في الدنيا فليست من أقسام أوقات البلاء والمحنة فلهذا السبب لم يذكروها **الثاني:** لعلهم ذكروا الحياتين: وهي الحياة في الدنيا، والحياة في القيامة، أما الحياة في القبر فأهملوا ذكرها لقلة وجودها وقصر مدتها **الثالث:** لعلهم لما صاروا أحياء في القبور لم يموتوا بل بقوا أحياء، إما في السعادة، وإما في الشقاوة ، واتصل بها حياة القيامة فكانوا من جملة من أرادهم الله بالاستثناء في قوله ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ {الزمر: ٦٨}"(٢). وقال الإمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية: "أخبر سبحانه عما يقولون في النار، فقال: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ {غافر: ١١}، المراد بالإماتتين: أنهم كانوا نطفا لا حياة لهم في أصلاب آبائهم، ثم أماتهم بعد أن صاروا أحياء في الدنيا، والمراد بالإحياءتين: أنه أحياهم الحياة الأولى في الدنيا، ثم أحياهم عند البعث، وقيل: معنى الآية: أنهم أميتوا في الدنيا عند انقضاء آجالهم، ثم أحياهم الله في قبورهم للسؤال، ثم أميتوا، ثم أحياهم الله في الآخرة، وحجة أصحاب هذا القول: أن الموت سلب الحياة، ولا حياة للنطفة، وحجة القول الأول: أن الموت قد يطلق على عادم الحياة من الأصل، وقد ذهب إلى تفسير الأول جمهور السلف(٣)، وقال ابن زيد: المراد بالآية: أنه خلقهم في ظهر آدم، واستخرجهم، وأحياهم، وأخذ عليهم الميثاق، ثم أماتهم، ثم أحياهم في الدنيا، ثم أماتهم"(٤).

الآية الخامسة: قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ {البقرة: ٢٨}. قال الإمام أبو حيان: "وقد استدل بقوله تعالى﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾{البقرة: ٢٨}

(١) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل٤٣٩/١، مرجع سابق.
(٢) الرازي، مفاتيح الغيب ٣٠٨/١٣، مرجع سابق باختصار، وتصرف.
(٣) الطبري، جامع البيان ٣٦٠/٢١، مرجع سابق، ابن الجوزي، زاد المسير ٥٨/١، مرجع سابق، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١٣٣/٧، مرجع سابق.
(٤) الشوكاني، فتح القدير ٣١٣/٦، مرجع سابق، باختصار وتصرف يسير.

على نفي عذاب القبر؛ لأنه ذكر تعالى موتتين وحياتين، ولم يذكر حياة بين إحيائهم في الدنيا وإحيائهم في الآخرة، قالوا: ولا يجوز أن يستدل بقوله تعالى ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ {غافر: ١١}؛ لأنه من كلام الكفار، ولأن كثيرا من الناس أثبتوا حياة الذر في صلب آدم. **والجواب على هذه الشبهة نقول:** إنه لا يلزم من عدم ذكر هذه الحياة للمسألة عدمها قبل، وأيضا، فيمكن أن يكون قوله: ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ هو للمسألة، ولذلك قال: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾، فعطف بثم التي تقتضي التراخي في الزمان، والرجوع إلى الله تعالى حاصل عقب الحياة التي للبعث، فدل ذلك على أن تلك الحياة المذكورة هي للمسألة في القبر، وفي قوله تعالى: ﴿فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ دليل على اختصاصه تعالى بذلك، ودليل على النشر والحشر قال الحسن: ذكر الموت مرتين هذا لأكثر الناس، وأما بعضهم فقد أماتهم ثلاث مرات، مثل الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها والذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت(١).

الآية السادسة: قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ {الدخان: ٥٦}. حيث قالوا: فلو كان في القبر حياة أخرى وموت آخر لذاقوا موتين مرة في حياتهم الدنيا، ومرة في حياتهم البرزخية، **وللرد على هذه الشبهة نقول لهم:** "ليس في الآية حديث عن عذاب القبر ولا نعيمه ولا تعلق للآية به، فالاستدلال بها إقحام لها في غير سياقها ومساقها، إن الإيمان بحياة الأموات في قبورهم لا يقتضي مساواة حياتهم في البرزخ بحياتهم في الدنيا، بل هي حياة خاصة قدرها الله سبحانه لهم، وعليه فلا يلزم ما قاله المنكرون لعذاب القبر ونعيمه من أنه لو كان الأموات منعمين أو معذبين للحقهم الموت مرة ثانية، إذ ذلك لا يلزم إلا في حال تساوي الحياتين، ومنشأ هذا الخلط عند منكري عذاب القبر هو ظنهم أن الموت هو عدم محض لا يشعر معه صاحبه بشيء، وهذا ما ترده النصوص الشرعية من الكتاب والسنة. فليس في القبر حياة وموت كالحياة والموت المعروف في الدنيا، بل يخلق الله تعالى نوع حياة يدرك به اللذة والألم بسبب انعكاس الروح على الجسد، والآية جاءت في سياق الامتنان على أهل الجنة بأنهم خالدون فيها لا يذوقون الموت سوى ما ذاقوه أول مرة في حياتهم الأولى(٢).

المطلب الثاني: حياة البرزخ عند المعتزلة، وشبهاتهم حولها

تابعت المعتزلة الخوارج في إنكار الحياة البرزخية وما فيها من نعيم وعذاب في القبر، قال الإمام ابن حزم: "ذهب ضرار بن عمرو الغطفاني - أحد شيوخ المعتزلة - إلى إنكار عذاب القبر، وذهب بشر بن المعتمر وسائر المعتزلة إلى القول به، وبه نقول لصحة الآثار عن رسول الله صلى

(١) أبو حيان، البحر المحيط، ٢١٢/١، باختصار وتصرف يسير.
(٢) أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي، السيوف المشرقة مختصر الصواعق المحرقة، اختصره وشذبه: الدكتور مجيد الخليفة الناشر: مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، صـ٥٩٥. بتصرف.

الله عليه وسلم به"[١]. وقال الإمام ابن حجر: "وذهب بعض المعتزلة كالجباني إلى أنه (أي عذاب القبر) يقع على الكفار دون المؤمنين"[٢]. وإذا كانت الخوارج تعتمد في إنكارهم للحياة البرزخية على شبهات نقلية، فإن المعتزلة إعتمدوا في انكارهم للحياة البرزخية على شبهات يمكن تسميتها بأنها شبهات عقلية، وردوا كل الآيات والأحاديث الواردة في ذلك وقالوا: إن العقل لا يقبلها ولا يتصورها، وهم بقولهم هذا وافقوا أهل الزندقة والإلحاد، قال العلامة ابن القيم: "وأنكرت الملاحدة والزنادقة عذاب القبر وضيقه وسعته، وكونه حفرة من حفر النار، أو روضة من رياض الجنة، وأنكروا جلوس الميت في قبره، قالوا: وقد وضعنا على صدر الميت زئبقا ثم كشفنا عليه فوجدناه بحاله، قالوا ولم نجد فيه ملائكة يضربون الموتى بمطارق الحديد، ولا حيات ولا عقارب، ولا نيرانا، وقال إخوانهم من أهل البدع والضلال والإفك والاعتزال: كل حديث يخالف مقتضى العقول نقطع بتخطئة ناقله، وأكثر أهل الاعتزال والبدع والضلال من مثل هذا الهذيان والزور والبهتان"[٣]. وتعتمد المعتزلة في إنكارها للحياة البرزخية على جملة من الشبهات **ومن أبرز هذه الشبهات: قولهم:** أن الحياة البرزخية مما لا يمكن إدراكاها بالحواس، أو تصورها بالعقول. والسبب في قول المعتزلة لهذه الشبه أنهم يقدسون العقل وتقدمونه على النقل، ويحكمونه في الأمور الغيبية، فما أدركه العقل واستوعبه قالوا به، ومارده العقل ولم يستوعبه ردوه، ولوكان نصًا صحيحًا وصريحًا، قال القاضي عبد الجبار - وهو رأس المعتزلة في عصره - إن "الأدلة أربعة: حجة العقل، والكتاب، والسنة، والإجماع، ومعرفة الله لا تنال إلا بحجة العقل"[٤]، فجعلوا أول الأدلة عندهم العقل وقدموه على الكتاب والسنة وغيرهما من الأدلة.. !!، وقال النظام - وهو من شيوخ المعتزلة في زمانه -: "إن المكلف - قبل ورود السمع - إذا كان عاقلا متمكنا من النظر يجب عليه تحصيل معرفة الباري تعالى بالنظر والاستدلال"[٥] وللمعتزلة تأثير كبير فيمن جاء بعدهم ممن تتلمذوا على كتبهم واتبعوا منهجهم في الاستدلال، وهم من يعرفوا في عصرنا بأصحاب (المدرسة العقلية)، وقد وضع بذور المدرسة العقلية في العصر الحديث جمال الدين الأفغاني، وتولى رعايتها وسقيها حتى أثمرت وأينعت الأستاذ محمد عبده، وقد سار على نفس طريق المعتزلة القدماء في تمجيدهم للعقل وتقديمه على النقل، وأنه هو المميز بين الحق والباطل حيث قال: "ورفع القرآن من شأن العقل ووضعه في مكانه بحيث ينتهي إليه أمر السعادة! والتمييز بين الحق والباطل والضار والنافع"[٦]. وللمعتزلة وأتباعهم نقول: إذا قدمنا العقل على النقل، فأي عقل نقدم؟! فعقول البشر مختلفة ومتفاوتة، وأهواء الناس ورغباتهم بعدد عقولهم التي في رؤوسهم، فلا يمكن ضبط هذه المسألة الا عن طريق الوحي المعصوم، وجعل العقل تابعاً له لا حاكماً عليه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ويكفيك دليلا على فساد قول هؤلاء: إنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل بل منهم من يزعم أن العقل جوز وأوجب ما يدعي الآخر أن العقل أحاله. فيا ليت شعري بأي عقل يوزن الكتاب والسنة؟ فرضي الله عن الإمام مالك بن أنس حيث قال: "أوكلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد صلى الله عليه

(١) ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ١١/٤، مرجع سابق باختصار.
(٢) ابن حجر، فتح الباري ٤٤٣/٤، مرجع سابق.
(٣) ابن القيم، الروح صـ٨٦، مرجع سابق.
(٤) القاضي عبد الجبار المعتزلي، شرح الأصول الخمسة، ط: مكتبة وهبة - مصر١٩٦٥، صـ٨٨.
(٥) ابن حزم، الملل والنحل ٦٠/١، مرجع سابق.
(٦) محمد عبده، رسالة التوحيد، دار النشر: مطابع دار الكتاب العربي، سنة النشر: ١٩٦٦، صـ٢١.

وسلم لجدل هؤلاء"[1]. وقال ابن القيم: "فإذا تعارض النقل وهذه العقول أخذ بالنقل الصحيح، ورمي بهذه العقول تحت الأقدام، وحطت حيث حطها الله وأصحابها"[2]. ومن هذه القضايا التي أعمل فيها المعتزلة وأصحاب المدرسة العقلية عقولهم الحياة البرزخية، حيث أنكروها، وما فيها من نعيم أو عذاب في القبر، والسبب في ذلك أنهم قدموا العقل على النقل، وحكموا عقولهم في أمور الغيب، وهذا الأمر جعلهم يؤولون نصوص الكتاب والسنة الواردة في ذلك أو يردونها. ولهم في ذلك جملة من الشبهات، والتي جعلوا منها أساسا لإنكار الحياة البرزخية، ومن هذه الشبهات: **أولا:** إنا نرى شخص الميت مشاهدة وهو غير معذب، فقد يصلب ويشاهده الناس على خشبة الصلب ولا يرون عليه آثار النعيم أو العذاب. **ثانياً:** الميت ربما تفترسه السباع وتأكله فكيف بعذب في قبره وهو لم يدفن فيه أصلا؟. **ثالثاً:** إنا نرى الميت ولا نشاهد منكرا ونكيرا ولا نسمع صوتهما في السؤال ولا صوت الميت. **وقد أجاب الإمام الغزالي على هذه الشبهات قائلا:** "وأما عذاب القبر فقد دلت عليه قواطع الشرع، وهو ممكن، فيجب التصديق به، ووجه إمكانه ظاهر، وإنما تنكره المعتزلة من حيث يقولون: إنا نرى شخص الميت مشاهدة وهو غير معذب وإن الميت ربما تفترسه السباع وتأكله، وهذا هوس، أما مشاهدة الشخص فهو مشاهدة لظواهر الجسم والمدرك للعقاب جزء من القلب أو من الباطن كيف كان وليس من ضرورة العذاب ظهور حركة في ظاهر البدن، بل الناظر إلى ظاهر النائم لا يشاهد ما يدركه النائم من اللذة عند الاحتلام ومن الألم عند تخيل الضرب وغيره، ولو انتبه النائم وأخبر عن مشاهداته وآلامه ولذاته من لم يجر له عهد بالنوم لبادر إلى الانكار اغترار بسكون ظاهر جسمه، كمشاهدة إنكار المعتزلة لعذاب القبر. وأما الذي تأكله السباع فغاية ما في الباب أن يكون بطن السبع قبرا، فإعادة الحياة إلى جزء يدرك العذاب ممكن، فما كل متألم يدرك الألم من جميع بدنه، وأما سؤال منكر ونكير فحق، والتصديق به واجب لورود الشرع به وامكانه، فإن ذلك لا يستدعي منهما إلا تفهيما بصوت أو بغير صوت، ولا يستدعي منه إلا فهما، ولا يستدعي الفهم إلا حياة، والإنسان لا يفهم بجميع بدنه بل بجزء من باطن قلبه، واحياء جزء يفهم السؤال ويجيب ممكن مقدور عليه، فيبقى قول القائل: إنا نرى الميت ولا نشاهد منكرًا ونكيرا ولا نسمع صوتهما في السؤال ولا صوت الميت، فالجواب: هذا يلزمه أن ينكر مشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام وسماعه كلامه وسماع جبريل جوابه ولا يستطيع مصدق الشرع أن ينكر ذلك، إذ ليس فيه إلا أن الله تعالى خلق له سماعا لذلك الصوت ومشاهدة لذلك الشخص، ولم يخلق للحاضرين عنده ولا لعائشة رضي الله تعالى عنها وقد كانت تكون عنده حاضرة في وقت ظهور بركات الوحي، فإنكار هذا مصدره الإلحاد وإنكار سعة القدرة، وقد فرغنا عن إبطاله. ويلزم منه أيضا إنكار ما يشاهده النائم ويسمعه من الأصوات الهائلة المزعجة، ولولا التجربة لبادر إلى الانكار كل من سمع من النائم حكاية أحواله، فتعسا لمن ضاقت حوصلته عن تقدير اتساع القدرة لهذه الأمور المستحقرة بالإضافة إلى خلق السموات والأرض وما بينهما، مع ما فيهما من العجائب، والسبب الذي ينفر طباع أهل الضلال عن التصديق بهذه الأمور بعينه منفر عن التصديق بخلق الانسان من نطفة قذرة مع ما فيه من العجائب والآيات أولا أن المشاهدة تضطره إلى التصديق فإذا ما لا برهان على إحالته لا ينبغي أن ينكر

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٤٠٧/١، مرجع سابق.

(٢) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث، القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ٧٩١/٢.

بمجرد الاستبعاد"[1]، وقد أجاب العلامة ابن القيم عن شبههم هذه قائلاً: "كل ما يظن أن العقل يحيله فلا خلو من أحد أمرين: إما خطأ في النقل، أو خبل في العقل فتكون شبهة خيالية ظن صاحبها أنها أمر عقلي صريح، والحال أنه خيال وهمي غير صحيح، كما قال تعالى: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٦ ﴾ {سبأ: ٦}، وأما الذين في قلوبهم زيغ فلا يزدادون إلا رجسا إلى رجسهم، وسر المسألة أن توسعة القبر وضيقه وإضاءته وخضرته وناره وحياته وعقاربه ليس من جنس المعهود في هذا العالم والمولى الحكيم إنما أشهد عباده هذه الدار وما كان فيها ومنها، وأما ما كان من أمر الآخرة فقد أسبل الله عليه الغطاء ليكون الإقرار به والإيمان سببا لسعادتهم ولو كشف عنه الغطا لكان مشاهدا عيانا وفاتت نتيجة الإيمان بالغيب وما يترتب على ذلك من جزيل الثواب، والحاصل أن كلما أخبر به الصادق المصدوق وجب الإيمان به. فالنار التي في القبر ليست من جنس نار الدنيا فيشاهدها من شاهد نار الدنيا وإنما هي من نار الآخرة فهي وإن كانت أشد من نار الدنيا إلا إن شدتها على من هي له وعليه دون من مسها من أهل الدنيا بل ربما دفن الميتان في قبر واحد فيكون أحدهما في روضة ونعيم والآخر في حفرة وعذاب أليم وفي قدرة الحكيم المالك أعظم وأعجب من ذلك وإن كان الضالون لا يشعرون حتى أنه تعالى يحدث في هذا الدار ما يدل على ذلك بل وأعجب من ذلك، فهذا جبريل عليه السلام كان ينزل على النبي -صلى الله عليه وسلم- ويتمثل له رجلا فيكلمه بكلام يسمعه ومن إلى جنب النبي -صلى الله عليه وسلم- لا يراه ولا يسمع كلامه وكذلك غيره من الأنبياء وكانت الملائكة تضرب الكفار بالسياط وتضرب رقابهم وتصيح بهم والمسلمون معهم لا يرونهم ولا يسمعون كلامهم. والحق جل شأنه حجب ابن آدم عن كثير مما يحدث في الأرض فكان جبريل يدارس النبي -صلى الله عليه وسلم- القرآن والحاضرون لا يسمعونه، وكيف يستنكر من عرف الله وأقر بقدرته أن يحدث حوادث يصرف عنها أبصار خلقه وأسماعهم حكمة منه ورحمة بهم؛ لأنهم لا يطيقون رؤيتها وسماعها فالعبد أضعف بصرا وسمعا من أن يثبت لمشاهدة عذاب القبر وقد أشهد الله تعالى ذلك بعض عباده فغشي عليهم ولم ينتفعوا بالعيش زمانا وبعضهم كشف قناع قلبه فمات. وقد تواتر عن ذلك ولم تحله العقول بل هو داخل في حيز الإمكان وما كان كذلك فإنكاره إلحاد. ولهذا قال سيدنا الإمام أحمد رضي الله عنه: "عذاب القبر حق لا ينكره إلا ضال"[2] وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله في شرحه للعقيدة الطحاوية: "وأما إنكار من ينكر عذاب القبر بحجة أن الميت يفنى فيه ويصبح ترابا، أو بحجة أن من أحرق أو أكلته السباع لا يمكن تعذيبه، فإنه أمر لا ينبغي اعتباره في مقابلة النصوص الثابتة، إذ أن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يعذب الميت ويحاسبه في أي صورة كان؛ فإن التعذيب ليس على الجسد المعهود فقط فإذا ذهب انتهى عذابه، وإنما الروح هو الذي يعذب أو ينعم في القبر قبل يوم القيامة، ولا مانع في قدرة الله أن يصل العذاب إلى الجسد بأي طريقة وعلى أي نحو كان، وقد تواترت الأخبار عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلا، وسؤال الملكين فيجب اعتقاد ثبوت ذلك، والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته؛ إذ

(١) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، الاقتصاد في الاعتقاد، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، صـ١١، باختصار.

(٢) ابن القيم، الروح، مرجع سابق، بتصرف واختصار من صـ٦١ إلى صـ٧٣.

ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول ولكنه يأتي بما تحار فيه العقول؛ فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا، ذلك أن الدور ثلاثة: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وقد جعل الله لكل دار أحكاما تخصها، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان، والأرواح تبع لها، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح، والأبدان تبع لها، فإذا كان يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم ، صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح، والأجساد جميعا"(١). ويمكن إجمال الردود العقلية على منكري الحياة البرزخية بشبهتهم العقلية، بالوجوه التالية: **الوجه الأول:** مما استقر في عقيدة المسلمين أن من أصول الإيمان، الإيمان بالغيب، والحياة البرزخية من الغيب الذي يجب الإيمان به، وإنكارها بدعوى عدم مشاهدتها أو الإحساس بها، هو فتح لباب جحود الغيب على مصراعيه، فالملائكة تطوف حولنا وتكتب حسناتنا وسيئاتنا ولا نراها ومع ذلك نؤمن بها، وكذلك الجن، فهل يعد عدم رؤيتنا لذلك مبررا لإنكار تلك الغيبيات. **الوجه الثاني:** أن عدم رؤيتنا لما يحصل للميت في حياته البرزخية، لا يعني عدم وجودها فقدرة الله ليس لها حدود، فهو قادر سبحانه على أن يعذب أو ينعم من مات محروقا، أو مات مأكولا، فالله لا يعجزه شيء وهو على كل شيء قدير **الوجه الثالث:** أن الله قد حجب عنا معرفة ما يحصل للميت شفقة بنا لئلا نترك دفن موتانا، فعن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر"(٢). **الوجه الرابع:** أننا نرى اليوم من طرق التعذيب أنواعا مختلفة لا تترك آثارا في الجسد كالتعذيب الكهربائي مثلا أو التعذيب النفسي، وهي أنواع من التعذيب ربما تكون أقسى من تلك التي تترك ندوبا في الجسد وآثارا.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وآله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فهذا البحث مساهمة منا في خدمة كتاب الله العزيز، وقد خَلُصَ الباحث فيه إلى النتائج التالية:

١- الإيمان بالحياة البرزخية، يعد من مقتضيات الإيمان باليوم الآخر الذي هو الركن الخامس من أركان الإيمان، فيجب الإيمان بها.

٢- تحدث القرآن الكريم عن الحياة البرزخية في آيات قرآنية كثيرة، منها ما تحدثت عنها صراحة، ومنها ما أشار إلى ذلك إشارة.

٣- ذكر القرآن الكريم بعض الأسباب الموجبة للعذاب في الحياة البرزخية، كا لكفر والنفاق والمعاصي والسيآت والإعراض عن ذكر الله تعالى.

٤ـ ذكر القرآن الكريم بعض الأسباب المنجية من عذاب القبر كا الإيمان بالله تعالى والشهادة في سبيل الله تعالى، وجاء في السنة أن قراءة سورة الملك ينجي من عذاب القبر.

(١) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، صـ٣٩٩، مرجع سابق بتصرف واختصار، وانظر: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، أهوال القبور، تحقيق: عاطف صابر شاهين، الناشر: دار الغد الجديد، المنصورة، مصر، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، صـ١٠٥.

(٢) صحيح مسلم برقم (٥١١٢)، مرجع سابق.

٥ـ الفرق التي تنكر الحياة البرزخية، ظهرت في العصر القديم، ولها أتباع في العصر الحديث، وهذه الفرق أعمل أصحابها عقولهم في أمور غيبية لا مجال للعقل للعمل فيه، واعتمدوا على شبهات واهية، لا تصمد أمام الأدلة القرآنية الواضحة.

التوصيات:

١- التنبيه على أهمية بناء التصوير الحقيقي للحياة البرزخية لدى المسلم؛ لما في مخالفة ذلك من نتائج سيئة على الفرد في دنياه وآخرته.

٢- عقد المؤتمرات والندوات العلمية من قبل المختصين؛ لدحض الشبهات العقدية التي تُثار في أذهان الناس من قبل أصحاب الأهواء من أتباع الفرق المنتسبة للإسلام؛ من أجل نشر الوعي الصحيح بين أفراد المجتمع المسلم.

٣- يوصي الباحث الدعاة والخطباء بتذكير الناس بآيات وأحاديث الحياة البرزخية بشكل خاص، واليوم الآخر بشكل عام؛ لأن ذلك من أسباب حياة النفوس ورقة القلوب، ولا سيما في هذا العصر الذي طغت فيه المادة، وكثة فيه الشبهات؛ قست القلوب.

المصادر والمراجع

- إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقق: عبد الجليل عبده شلبي الناشر: عالم الكتب – بيروت ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ابن رجب الحنبلي، أهوال القبور، تحقيق: عاطف صابر شاهين، الناشر: دار الغد الجديد، المنصورة، مصر، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- أبو الحسن الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة الناشر: دار الأنصار- القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٧تحقيق: د. فوقية حسين محمود.
- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم بتصرف يسير، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت سنة النشر: ٢٠٠٠م.
- أبو الحسن علي بن إسماعيل عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، المحقق: نعيم زرزور، الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.
- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار النشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤٠٧هـ،
- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، الاقتصاد في الاعتقاد، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
- أبو حفص عمر بن على ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تفسير اللباب، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٧هـ.

- أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زطي الخزاز الكوفي، الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والاكبر، الناشر: مكتبة الفرقان – عجمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٩، تحقيق: د. محمد بن عبدالرحمن الخميس.
- أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠هـ.
- أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ.
- أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني، المسند أحمد بن حنبل الشيباني، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م.
- أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، الجامع الكبير، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الناشر: دار الجيل ـ بيروت + دار العرب الإسلامي ـ بيروت الطبعة: الثانية، ١٩٩٨م.
- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، الناشر: دار المعرفة ـ بيروت عام ١٣٧٩.
- أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السَّلام هَارُون الناشر: اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م.
- أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، الدر المصون في علم الكتاب المكنون، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم – دمشق، بدون تاريخ لسنة الطبعة.
- أحمد صبحى منصور، عذاب القبر والثعبان الأقرع، دار طيبة للدراسات، مصر، ١٩٩٤.
- إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت ط٤، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، المحقق: أنور الباز ـ عامر الجزار، الناشر: دار الوفاء، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية ـ دمشق بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.
- سيد قطب إبراهيم، فى ظلال القرآن، دار النشر: دار الشروق ـ القاهرة، بدون تاريخ الطبعة.
- سيف الدين الآمدي, أبكار الأفكار, دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة, ط٣ ١٤٢٤.
- عبد الرحمن بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٤.
- عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

- عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تأويل مختلف الحديث، تحقيق: محمد زهري النجار، الناشر: دار الجيل، بيروت، ١٩٧٢.
- علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت سنة الطبع: ١٤١٥هـ، تحقيق: تصحيح محمد على شاهين.
- علي بن أحمد بن حزم الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة، بدون تاريخ الطبعة.
- علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة: الثانية ،١٤١٤.
- علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري الناشر: دار الكتاب العربي –لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥.
- القاضي عبد الجبار المعتزلي، شرح الأصول الخمسة ط: مكتبة وهبة- مصر١٩٦٥.
- محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير، دار النشر: دار الفكر العربي، بدون تاريخ للطبعة.
- محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ت (١٣٩٣هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان عام النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار النشر: دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧.
- محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الصواعق المرسلة، تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث، القاهرة – مصر، ط١، ٢٠٠١م.
- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، التفسير القيم لابن القيم، جمعه: محمد أويس الندوي، حققه: محمد حامد الفقي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ.
- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، كتاب الروح، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٣٩٥ – ١٩٧٥.
- محمد بن أحمد الانصاري القرطبي، الجامع الأحكام القرآن، الناشر: دار احياء التراث بيروت، سنة النشر: ١٩٨٥م، تحقق: هشام سمير البخاري.
- محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع الصحيح المختصر، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ – ١٩٨٧، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.
- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.
- محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١-١٩٩٠، تحقيق: مصطفى عبد القادر.

- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فتح القدير، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت ط١، ١٤١٤هـ.
- محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي.
- محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، الناشر: دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤.
- محمد ثناء الله العثماني المظهري، التفسير المظهري الناشر، إحياء التراث العربي، بيروت: ١٤١٢هـ، تحقيق: غلام نبى تونسى.
- محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي محاسن التأويل، تحقق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلمي– بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.
- محمد رشيد بن علي رضا، تفسير المنار، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٩٠م.
- محمد زينو، القرآنيون، نشأهم - عقائدهم - أدلتهم، الناشر: دار القبس، دمشق، الطبعة: الأولى،١٤٣٢.
- محمد سيد طنطاوي التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار النشر: غير مذكور.
- محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، الناشر: دار الفكر المعاصر، دار الفكر - بيروت، دمشق، ط١، ١٤١٠.
- محمد عبده، رسالة التوحيد، دار النشر: مطابع دار الكتاب العربي، سنة النشر: ١٩٦٦.
- محمد ناصر الدين الألباني، السلسلة الصحيحة، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥.
- محمد ناصر الدين الألباني، صحيح أبي داوود الناشر، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢.
- محمد ناصر الدين الألباني، صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، الناشر: مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض - المملكة العربية السعودية. الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي، السيوف المشرقة مختصر الصواعق المحرقة، اختصره وشذبه: تحقيق: الدكتور مجيد الخليفة الناشر: مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ الطبعة.
- ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.
- نعمان بن محمود الألوسي، لآيات البينات في عدم سماع الأموات على مذهب الحنفية السادات، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ.
- يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، معاني القرآن، تحقق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة: الأولى، بدون تاريخ الطبعة.